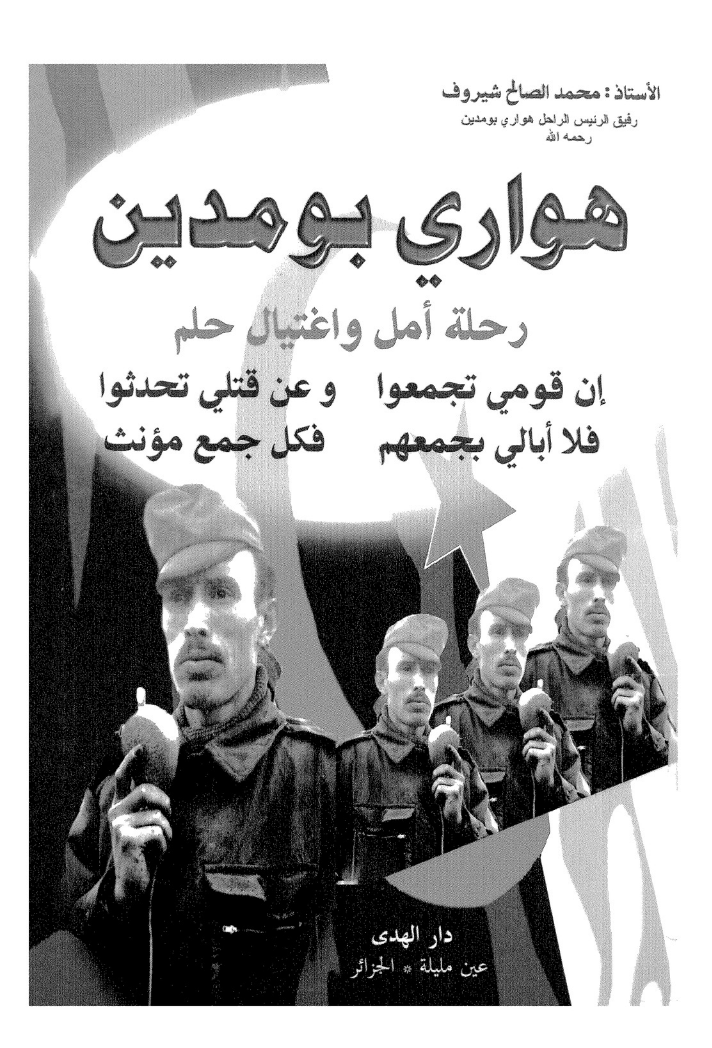

الأستاذ : محمد الصالح شيروف
رفيق الرئيس الراحل هواري بومدين
رحمه الله
هواري بومدين
رحلة أمل واغتيال حلم
إن قومي تجمعوا و عن قتلي تحدثوا
فلا أبالي بجمعهم فكل جمع مؤنث
دار الهدى
عين مليلة * الجزائر

الأستاذ: محمد الصالح شيروف
رفيق الرئيس الراحل هواري بومدين
رحمه الله

هواري بومدين

رحلة أمل واغتيال حلم

إنّ قومي تجمعوا وعن قتلي تحدثوا
فلا أبالي بجمعهم فكل جمع مؤنث

دار الهدى
عين مليلة * الجزائر

الرقم التسلسلي: 1374 - 2005 دار الهدى

رقم الإيداع القانوني: 2406 - 2005 المكتبة الوطنية

ردمك: 7 - 647 - 60 - 9961

دار الهدى

للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الصناعية ص. ب 193 عين مليلة - الجزائر

الهاتف: 030.33.28.81/030.33.27.67/032.44.92.00/032.44.95.47

الفاكس: 032.44.94.18/030.33.28.48

Site web: www.elhouda.com / E-mail: darelhouda@yahoo.fr

الفروع:

مكتبة وراقة شركة دار الهدى بـ:

عين مليلة: الحي البلدي

- الهاتف: 032.44.83.57 الفاكس: 032.44.92.67

قسنطينة: حي كوحيل لخضر جنان الزيتون

- الهاتف: 030.20.41.33 الفاكس: 030.20.41.32

الجزائر: 01 شارع أوراس بشير باب الواد

- الهاتف: 021.96.62.20 الفاكس: 021.96.61.11

وهران: 05 شارع زيغود يوسف عمارة الحرية

- الهاتف: 041.40.46.47/041.40.46.89 الفاكس: 041.41.46.54

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

أهدي هذه العصارة الفكرية المتواضعة لروح رفيق الرحلة الرئيس الرمز هواري بومدين وحرمه المصون السيدة أنيسة بومدين أرملة الجزائر ورمز الصبر والمصابرة وإلى كل وطني غيور على وطنه ووطنيته، وإلى خلية العمل التي ساعدتني على إخراج هذا العمل المتواضع والمتكونة من: محمد سعدي المحامي المعتمد لدى المحكمة العليا، والأستاذ الدكتور عبد الله بوخلخال رئيس جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، والأخ المجاهد الرائد عز الدين بن مبارك مسؤول ناحية بالولاية الثانية التاريخية، حيث مكنتني مساهمته وتشجيعه لي على إخراج هذا العمل المتواضع في حق رفيقه في السلاح القائد الرمز **هواري بومدين**، إذ يعد ذلك قمة الثورية والوطنية والالتزام بمشروع الثورة، وتكريم فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة له بتقليده وسام الأثير من صف الاستحقاق الوطني يعد اعترافا من فخامته بدوره الجهادي باعتباره أحد مجاهدي الفاتح من نوفمبر العظيم دون منازع، وذلك، بمناسبة الاحتفال بمرور نصف قرن على اندلاع ثورة نوفمبر الخالدة 1954، وإلى أخي الفاضل الدكتور بوشاقور عمر مدير مركز الصحة المجتمعية بمدينة الخروب والأستاذة حرمه عضو المجلس الوطني، وإلى ابنتي نهى الطالبة بقسم الماجستير بجامعة منتوري قسنطينة التي كانت دائما وباستمرار تشجعني وتدفعني إلى مواصلة العمل لإنجاز هذا العمل المتواضع في حق رفيق دربي الطالب **محمد بن براهيم بوخروبة** المدعو: **هواري بومدين**، وإلى زوجتي التي تحملتني طيلة إعداد وإنجاز هذا العمل، وإلى أبنائي

المغتربين الذين هجرتهم الوطنية الزائفة بعد غياب الرفيق الفحل **هواري بومدين** ودخول الجزائر عهد الإنبطاحية والردة الوطنية بجميع أشكالها.

إلى كل أولئك وهؤلاء، وإلى كل من يؤمن بالوفاء ليس مجرد شعارات جوفاء، بل هو عمل ميداني.

أهدي هذا العمل المتواضع والذي أعتبره قطرة من محيط ما يستحقه الرئيس الراحل **هواري بومدين** رحمه الله.

محمد الصالح شيروف

محمد بوخروبة -هواري بومدين-

المولد والنشأة

ولد الطفل محمد بوخروبة يوم 23 أوت 1932 لأبيه الحاج ابراهيم المتوفى عام 1967، بن عبد الله بن سعدي بوخروبة، وأمه تونس بوهزيلة توفيت عام 1984. ولد «بدوار بني عدي لمشتة – العرعرة – عرش بني ورز دالين» بلدية عين حساينية سابقا هواري بومدين حاليا، يبعد الدوار بحوالي 15 كلم غرب مدينة قالمة. اشتغل جده عبد الله بتعليم القرآن الكريم للصبية بالدوار مع ممارسته للفلاحة شبه البدائية بأرض – الكومينال – كان أبوه يقيم مع أفراد عائلته بكوخ متواضع مغطى سقفه بما يسمى – الديس – وهو نوع من النبات البري يستعمله جل سكان الريف عموما في تغطية أسقف المنازل خاصة القبائل التي تعيش عيشة البداوة التقليدية.

محمد بوخروبة وأمّه الحاجة تونس

عاش الطفل بين أحضان الطبيعة التي يغلب عليها الطابع الجبلي المعروفة به المنطقة كجبل ماونة، وبني مزلين، وهوارة، وعين العربي، وبوهمدان وبوعربيد، وعين طاية، وسلاوة عنونة. نشأ الطفل كذلك في ظل رعاية الوالدين الكريمين فورث عنهما وطنية متأججة صادقة منذ نعومة أظفاره.

وتعود أصول عائلته -كما ذكر لي أحد مجاهدي عائلة **بوخروبة** وبعض وجهاء المنطقة إلى عرش -ورز دالين- بالعوانة إحدى دوائر ولاية جيجل

حاليا، وبناءا على ماهو مقيد بما يسمى -شجرة النسب- إن هذه العائلة تمتد أصولها التاريخية البعيدة إلى جمهورية اليمن حاليا بالمشرق العربي، وعليه فالجذور لهذه العائلة الثورية العريقة عربية أصيلة.

إن جل أفراد عائلته كانوا سباقين إلى الإلتحاق بصفوف المجاهدين أثناء الثورة المباركة وقبلها انتفاضة 8 ماي 1945. انظم إلى صفوف جيش التحرير ستة من أفراد عائلة **بوخروبة**، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، له شقيقان: المرحوم عبد الله فالسعيد أستاذ بجامعة **هواري بومدين** بباب الزوار الجزائر العاصمة، وله شقيقات أربعة: هن على التوالي: الزهرة تقيم بمدينة قالمة حاليا، العارف أرملة شهيد، فيمينة، فالأختان الأخيرتان تقطنان بالجزائر العاصمة حاليا، فعائشة. له عم وحيد شقيق أبيه يدعى الطيب بوخروبة، أنجب ثلاثة أطفال هم على التوالي: مسعود على قيد الحياة، صالح وعلي رحمهما اللّه، له عمة وحيدة هي السيدة/ لحميدة عقيلة بوخروبة، كانت تقيم في كوخ سقفه مغطى بـ: الزنقل - قبل وفاتها بمزرعة (ريشي) بلدية بلخير ولاية قالمة، أنجبت ذكورا وإناثا.

حفظ الطفل **محمد بوخروبة** القرآن الكريم وهو في سن العاشرة، ثم تتلمذ بالمرحلة الابتدائية بالمدرسة الفرنسية (محمد عبدو) حاليا، كما تابع دراسته الإكمالية بالمعهد الكتاني بقسنطينة الكائن بساحة سوق العصر (بوهالي السعيد) حاليا للمواسم الدراسية: 48 - 49، 49 - 50، 50-51 و 51- 52 ويعد هذا المعهد فرعا للزاوية الحملاوية الموجود مقرها بدائرة التلاغمة ولاية ميلة حاليا وهي مدرسة لها انتماء فكري بالحركة الوطنية.

كان بعض طلبة المعهد الكتاني ضمنهم **محمد بوخروبة** يقيمون بدار بن جلول أمام معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس ببطحة سيدي الشيخ عند نهاية نهج ين راشي الطاهر المتفرع عن نهج العربي بن مهيدي بمدينة قسنطينة.

نظم رحلة تاريخية -بقصد التمدرس- إلى القاهرة عام 1951 مع صديقه/ محمد الصالح شيروف ومومني محمد العربي وهما من وادي زناتي ولاية قالمة حاليا/ ومقدم محمد لخضر من فج مزالة ولاية ميلة حاليا، شاءت الأقدار أن يعود/ مومني ومقدم إلى الجزائر من طرابلس بليبيا لأسباب لا تزال لحد الساعة مجهولة، لكن بوخروبة وشيروف واصلا المسيرة إلى القاهرة.

كانت الرحلة شاقة ومتعبة جدا، فقطعا المسافة 4500 كلم راجلين حيث استغرقت الرحلة ثلاثة أشهر ونصف. إذن أكمل الشاب **محمد بوخروبة** دراسته بعد ذلك بالقاهرة، انتسب أولا بالأزهر الشريف ثم التحق بالثانوية الخديوية ثم حول بعد ذلك إلى الثانوية السعيدية دائما بالقاهرة باعتبار أن اللغة الثانية بها الفرنسية.

التحق الشاب **محمد بوخروبة** بالثورة المسلحة في أوائل عام 1955 ضمن ثلة من الطلبة الذين غادروا مقاعد الدراسة فالتحقوا بالولاية الخامسة وهران الباهية على متن السفينة (ديانا) التي كانت محملة بالسلاح حيث رست على بعد أميال من الناظور قرب الحدود المغربية.

إن الشاب **محمد بوخروبة هواري بومدين** يبدو أن الاسم الثوري للقائد الرمز كان متداولا بالجهة الغربية من الجزائر، قد يكون ذلك على اسم سيدي الهواري الولي الصالح بمدينة وهران الباهية، أما بومدين فيعود إلى اسم ولي المسجد الكبير بتلمسان، ومنه على ما يظهر لي اختار القائد الرمز اسمه الثوري **هواري بومدين**.

يبدو بوضوح أن نشاط الشاب المجاهد **هواري بومدين** جلب انتباه القائدين محمد العربي بن مهيدي وعبد الحفيظ بوالصوف حيث تدرج في سلم المسؤولية الثورية لما لوحظ عليه من عمل جاد وكفاءة ومقدرة جعلته

نصب عيني القائدين بن مهيدي وبوالصوف، لقد قلد رتبة رائد وأسندت له مهمة جلب الوسائل العسكرية من سلاح وذخائر لإدخال ذلك إلى قلب الثورة داخل الجزائر، إن كفاءته ومقدرته العسكرية والتنظيمية والسياسية أهلته لاحتلال مناصب هامة، لقد عين نائبا لقائد الناحية الغربية برتبة رائد ثم قائدا للولاية الخامسة –وهران– عام 1957 برتبة عقيد وعضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية بعد استشهاد القائد محمد العربي بن مهيدي والتحاق عبد الحفيظ بوالصوف بلجنة التنسيق والتنفيذ بتونس بعد مؤتمر الصومام.

لقد أدرك القائد **هواري بومدين** أن تنظيم المخابرات العسكرية يتطلب احتلال أولويات مهامه كمسؤول أول على العمليات العسكرية بالولاية الخامسة في المراحل الأولى؛ حيث يتحتم ويستوجب تفعيل العمل الحربي ضد المستعمر. وفي النصف الثاني من شهر ديسمبر عام 1959 اجتمع المجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورة عادية خلال الفترة الممتدة من 16 ديسمبر 1959 حتى 20 يناير 1960 حيث قرر المجلس تكوين هيئة قيادة الأركان العامة للحرب وتعيين العقيد **هواري بومدين** على رأسها حيث أنشأ مركز القيادة في وجدة على الحدود المغربية الجزائرية، وفي عام 1960 تم دمج قيادتي العمليات الحربية الشرقية والغربية فأضحت قيادة واحدة تعرف بهيئة أركان الحرب العامة لجيش التحرير الوطني التي تولى قيادتها بجدارة، وفي فجر الاستقلال عين القائد العقيد **هواري بومدين** وزيرا للدفاع الوطني في أول حكومة بعد الاستقلال ثم نائبا لرئيس الحكومة فقائدا لحركة 19 جوان 1965 الثورية فرئيس جمهورية عام 1976.

لم يتزوج القائد الرمز **هواري بومدين** إلا مرة واحدة في حياته مع أنيسة أرملة الجزائر، ولم ينجب معها أطفالا، وقد كانت ولا تزال رمز الوفاء للقائد، وذاكرتها لا تزال تحتفظ بذكريات باسمة رفقة القائد الرمز هواري بومدين والزوج المخلص محمد بوخروبة.

توفي رحمه الله صبيحة يوم الأربعاء 27 ديسمبر 1978 على الساعة الثالثة وخمس وخمسين دقيقة بمستشفى مصطفى باشا الجامعي حيث كان يعالج هناك منذ 18 نوفمبر 1978 عن عمر لم يتجاوز بعد ربيعه السادس والأربعين. دفن بمقبرة الشهداء بالعالية بجوار الأمير عبد القادر الجزائري على الجانب الأيمن فودعه الشعب الجزائري إلى مثواه الأخير في موكب جنائزي الأكثر عظمة ولم تشهد الجزائر مثله عبر تاريخها الطويل.

إن جل أفراد عائلة بوخروبة يقيمون في منازل شبه أكواخ ولم يتحصل بعضهم -إن لم أقل جلهم- لا على عقارات ولا على أراض ولا على دكاكين تجارية ولا على أرزاق ووظائف سامية ولا على سيولة مالية ولا على شركات تجارية تدر عليهم الملايين، بل بقيت عائلته معزولة -بقصد أو دون قصد- ينظر إليها على أنها كانت الدولة!! وليس من حقها أن تطلب أي شيء، بل أصبحت محاصرة حتى في رزقها اليومي.. لماذا؟ إجحاف في حق هذه العائلة يندى له الجبين.. السؤال يبقى مطروحا بإلحاح ينتظر الإجابة الشافية.. ويبدو أن ذنبها الوحيد أن أحد أبنائها أصبح رئيس جمهورية الجزائر لا غير.. إنه لم يعمل على جمع المال وتكديس الثروة لعائلته، بل عمل على بعث الحياة الكريمة لمواطنيه. إن القائد لم يأخذ عطلة في حياته.. إنه كان يعمل ليلا نهارا.. ولم يتمتع بحياته كإنسان.. وكان متواضعا في ملبسه ومأكله.. وكان يرغب في تناول المأكولات الشعبية التقليدية.. إن تناول المأكولات التقليدية الريفية هوايته المفضلة، لأنه لم ينس أبدا نشأته البدوية الأصيلة المتأصلة.. هذا الريف الذي كان القاعدة الأسمنتية لثورة الفاتح من نوفمبر 1954 العظيمة ومنبت أبطال الجزائر على مر العصور.

رحم الله الشهداء وحفظ مابقي من المجاهدين الأشاوس لجزائر الثورة والثوار.

محمد الصالح شيروف

تقـديم

عندما طلب مني الأستاذ الفاضل محمد الصالح شيروف أن أضع تقديما لمؤلفه ترددت لا لشيء إلا لكون الطلب من نوع السهل الممتنع والطالب، أكبر من تقديمي له والمطلوب أكبر من الكل لأن أي كلام عن الزعيم الرمز الراحل هواري بومدين يعتبر في حد ذاته تحديا صارخا لمجريات عصر العولمة، وما أدراك ما عصر العولمة هذا العصر الذي لا يعترف بالحدود الجغرافية ناهيكم عن الرموز التاريخية أمثال الزعيم الرمز وغيره من الرموز الوطنية التي ما زال أغلبها في غياهب النسيان والتناسي حتى من أقرب الناس إليهم.

وما حالة الرئيس الرمز إلا مثالا حيا لذلك، المهم أن الشيخ شيروف محمد الصالح -أطال اللّه في عمره- من بقايا الأوفياء في هذا الوطن، وقد وعد فوفى، والتزم فنفذ وحفر في ذاكرته البعيدة والتي تعود إلى أكثر من نصف قرن من الزمن، و استجمع متناثراته من الذكريات الماضية مع الرئيس الراحل هواري بومدين أيام الطفولة والشباب و أعطانا عصارة فكره، في هذا المؤلف القيم المفعم بالعطاء التاريخي البريء.

يعود بنا الأستاذ: محمد الصالح شيروف إلي نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن الماضي ويبدأ من حيث يجب البدء.

ومن دائرة قالمة الولاية حاليا تبدا الرحلة مع الطفل بوخروبة محمد «هواري بومدين فيما بعد» الذي تعرف عليه الأستاذ: محمد الصالح شيروف بإحدى مدارس قالمة «مدرسة محمد عبدو حاليا»، ثم شاءت الأقدار أن يترافقا معا في التمدرس بمدينة قسنطينة و«بالمدرسة الكتانية» بالذات الواقعة بإحدى أحياء قسنطينة العتيقة، وفي هذه المدينة يكتشف الشاب محمد بوخروبة تعطشه للهجرة إلى القاهرة، ويسر بذلك إلى صديقه الحميم محمد الصالح شيروف ثم تحدث المفاجأة ويتم الاتفاق معا على السفر رفقة زميلين آخرين.

وتبدأ الرحلة من قسنطينة إلى تبسة ثم تونس مرورا بليبيا إلى القاهرة وخلال كل مرحلة من مراحل المغامرة يقف بنا الأستاذ محمد الصالح شيروف في المحطات الواجب التوقف عندها شارحا لنا الأحداث بكل تفاصيلها وجزئياتها إلى درجة أنك تجد نفسك أمام فيلم سينمائي درامي مشوق لما في السرد التاريخي من تبويب محكم فيه كثير من التلقائية دون تنمق ولا أنانية، ذلك أنّ الرجل نقل الحقائق كما هي ناكرا ذاته ومسلطا كل الأضواء على رفيقه محمد بوخروبة وهذه هي قمة الوفاء ونكران الذات رغم أنّه كان بإمكان الأستاذ: محمد الصالح شيروف أن ينسب كل شيء له خاصة وأنّه هو الشاهد الوحيد وأن الشخص المعني توفي رحمه الله.

ورغم كل ذلك فإن الأستاذ محمد الصالح شيروف فضل أن يكون صادقا مع نفسه أولا ثم مع التاريخ ثانيا وما أحوجنا إلى مثل هذه الأخلاقيات في زمن استكباش الخراف واستنسار العصافير.

قلت لقد ركز الأخ شيروف على كل صغيرة وكبيرة أثناء سرده للأحداث بأسلوب شيق وسلس ينم عن تمكنه من اللغة وكيفية توظيفها بما يخدم الفكرة العامة لمؤلفه والشيء الذي استوقفني في المؤلف أنّه أعطى للقارئ الكريم صورة كاملة عن شخصية المرحوم محمد بوخروبة «هواري بومدين» منذ أن كان طفلا إلى أن أصبح شابا يافعا، متعطشا لمعرفة الحقيقة التاريخية للأمة الجزائرية من خلال بحثه وتنقيبه في أمهات الكتب بالمكتبات المصرية وحضوره المستمر لكل الأنشطة التي كانت تقام هنا وهناك في القاهرة خاصة بعد ثورة يوليو الناصرية سنة 1952.

وما تلا ذلك تغيرات عالمية و عربية...الخ، إلى أن وصلت أصداء ثورة نوفمبر 1954 الغراء إلى كل أصقاع العالم بما في ذلك القاهرة فسارع بوخروبة محمد «هواري بومدين» إلى البحث عن ممثل الثورة الجزائرية بالقاهرة وكان وقتها الرئيس أحمد بن بلة هو ممثل الثورة والتحق محمد

بوخروبة بالفلول الأولى للطلبة الجزائريين بالقاهرة بالثورة التحريرية وكان ذلك مع بداية سنة 1955 ودخل الجزائر بواسطة الباخرة «ديانا» المحملة بالسلاح والتي وصلت إلى الغرب الجزائري خلال شهر أفريل 1955 وهي قضية أخرى.

يعتبر هذا الكتاب الذي أنجزه الأستاذ محمد الصالح شيروف شهادة حية وواقعية عن حياة الشاب محمد بن إبراهيم بوخروبة المدعو «هواري بومدين» ومشكورا على مؤلفه هذا وسيبقى على درب من دعاة الصداقة والرفقاء القيام بواجباتهم تجاه المرحوم هواري بومدين وهذا للتاريخ والتاريخ فقط.

الأستاذ: محمد سعدي محام

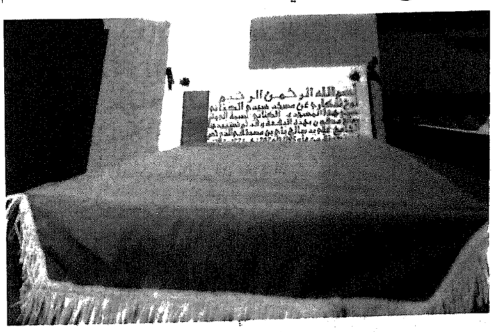
بواعث الرحلة ومتاعبها

شاءت الأقدار أن يكون سي محمد بوخروبة الرئيس الراحل من بين الأصدقاء الأوفياء الذين حظيت بلقائهم ذات يوم بمدينة قالمة التي أتردد على بعض الأقارب المقيمين بها (لقاء البراءة)؛ حيث كنا نتجاذب أطراف الحديث بخصوص الدراسة فأدّى بنا الحديث إلى إمكانيّة التعرف على بعض المدارس العلميّة التي شاع صيتها بمدينة قسنطينة، ولا سيما معهد الشيّخ عبد الحميد بن باديس رحمه اللّه والمعهد الكتّاني بها، فاستقر الرأي على أن أقوم بجولة إلى المدينة لرصد هاذين المعهدين، ومعرفة الضّوابط التي يتحدّد بموجبها الالتحاق بأحدهما، والملاحظ أن الشّريط الممتد من وادي الزناتي إلى مدينة قالمة يخضع سكانه إلى التنّظيم السّياسي، المعروف يومئذ بـ(حركة انتصار الحريات الديمقراطية) الوجه الجديد لحزب الشعب من هنا كان ميولنا بعد هذه الجولة الاستطلاعيّة إلى المعهد الكتّاني للتّسجيل به للموسم الدّراسي 48 – 49، وقد سبق له أن تابع دراسته الابتدائيّة بإحدى المدارس الفرنسيّة بمدينة قالمة محمد عبده حاليا. لكنّه كان يشعر دوما رغم أنه لا يزال بعد برعما بتعرضّه للظّلم والإهانة من طرف الاستعمار. إنّ انقطاعه عن متابعة الدّروس بالمدرسة المذكورة آنفا، قد يعود إلى أسباب سياسية أجهلها لحد الساعة.



التحقنا سويا بالمعهد الكتّاني الواقع بساحة سوق العصر (بوهالي السعيد) بالمدينة القديمة قسنيطينة، ويعد هذا المعهد فرعا للزاوية الحملاوية الكائن مقرها بدائرة

تلاغمة ولاية ميلة حاليا لكن جلّ طلبته كانوا جميعا من نشطاء حركة انتصار الحريات الديمقراطية الوجه الجديد لحزب الشعب آنذاك، يكفي هذا المعهد فخرا أنه تخرج منه مجموعة من كوادر الثورة لاحقا، لبى هؤلاء الطلبة نداء الثورة ليلة 01 نوفمبر 1954 الخالدة وتخلوا عن مقاعد الدراسة من أجل الالتحاق بثورة العصر، ثورة غرة نوفمبر 1954 من نتائج هذا المعهد الحر الملموسة وجود كل من سي محمد بوخروبة ضمن طلبته (الراحل هواري بومدين) الذي أصبح أثناء الثورة رئيس هيئة أركان جيش التحرير، فرئيس جمهورية الجزائر لاحقا، ثم رفيقه في السلاح العقيد المتقاعد علي كافي أحد قادة الولاية الثانية أثناء الثورة ورئيس مجلس الدولة سابقا، والجنرال المتقاعد عبد القادر عبد اللاوي، والجنرال المتقاعد الطيب الدراجي والرائد المتقاعد عبد المجيد كحل الراس عضو مجلس الولاية الثانية أثناء الثورة، الكل نتاج المعهد الكتاني بقسنطينة، وهناك رفقاء كثيرون منهم من



اللوح التذكاري للمعهد الكتاني يحمل تاريخ الافتتاح وسبب التسمية بسوق العصر

قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، معذرة لإخوتي رفقاء مقاعد الدراسة في مطلع النصف الثاني من القرن الماضي بمدينة الجسور المعلقة، ذات الحضارة المتجذرة، مدينة الشيخ عبد الحميد بن باديس، فهم كثر، فمعذرة لإخوتي ثانية، الشهداء منهم والأحياء لعدم تمكني من إدراج أسمائهم ضمن هذه العجالة.

إن الشّاب سي محمّد بوخروبة يعدّ من بين الملايين من أبناء الشعب المعدومين الذين يعيشون حياة ظنكة، فهو ابن فلاح لا يملك سوى فقره، شأنه شأن عدّة ملايين، من أبناء الأمّة الذين يعانون ضيق الحياة و ظنك العيش، نتيجة التهميش من قبل المستعمر الغاصب، في الوقت الذي كنّا نلاحظ فيه شرذمة من شذاذ الآفاق ينعمون بخيرات الجزائر دون سواهم.

إنّ طموح سي محمّد بوخروبة في تطوير تعليمه بالرحيل إلى الأزهر الشريف كان واضحا لأن الشائع في ذلك الحين، إنّ الذين يدرسون في مصر، والأزهر على الخصوص، هم وحدهم العلماء ولهذا كان يحلم كشاب في الحصول على شهادة الليسانس تمكنّه من إشباع طموحه.

إن الدّروس التي كنا نتلقاها بالمعهد الكتاني عن شيوخ تآكلت معارفهم من كثرة ترداد ما حفظوه بجامع الزيتونة، لم تلبّ طموحات الطلبة النجباء أمثال سي محمد بوخروبة الذي كان يعزف عن حضور بعض الحصص الصباحية مع حبّه للعلم والعلماء لاقتناعه بأنّها لا تشبع نهمه، ولا تروي ضمأه لأنّه كان يتطلّع إلى مستوى علمي أرقى مما كنّا نتلقاه عن شيوخنا الأفاضل، إنّ تطور أساليب التربية على أحدث التقنيات عند تقديم المعلومات إلى الطالب من قبل أساتذة ذوي كفاءات تربوية عالية كان لها أبلغ الأثر في رفع مستوى طلاب العلم، أما أتباع الأساليب الكلاسيكية في التدريس فملّها طلبة العلم ولم تعد مقبولة.

إن استياء الطلبة النجباء من تلك الطرق والأساليب الكلاسيكية التي أصبحت غير مرغوب فيها بمعهدنا لعدم جدواها وفعاليتها وعدم تماشيها والتطور الحاصل في ميدان التربية والتعليم، فالمحاولات كانت جارية من طرف بعض الطلبة الذين كانوا يرغبون في استكمال تعليمهم على أيدي شيوخ تلك المعاهد التي أصبح لها صدى عبر الوطن العربي والإسلامي كجامع الأزهر وجامع الزيتونة والقيروان ذلك لأن بعض الطلبة كانوا يرغبون في الالتحاق بهذه المعاهد قصد أخذ العلم على أيدي علمائها.

إنّ طلبة المعهد الكتاني المنضوي جلّهم ضمن توجيهات سياسية وثقافية بقيادة (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) الوجه الجديد لحزب الشعب الجزائري، كان لها أبلغ الأثر في التوجه الجديد نتيجة الوعي الحاصل في التطلع إلى الالتحاق بإحدى المعاهد الثلاثة المشار إليها آنفا لاستكمال تعليمهم على أيدي شيوخ تلك المعاهد وبالأخص الأزهر الشريف، لأن الشائع يومها أن التعليم بالأزهر الشريف يرفع الحاصل على شهادة علمية منه إلى درجة العلماء دون منازع نظرا للمكانة العلمية التي يتمتع بها هذا المعهد في الوسطين العربي والإسلامي.

من هنا فقط بدأ سي محمد بوخروبة يخطط من أجل خوض غمار مغامرة في رحلة إلى القاهرة مليئة بالمخاطر. لقد شاع صيت الجامع الأزهر في العالمين العربي والإسلامي؛ فرغب الشباب في التنقل إلى مدينة القاهرة للالتحاق بالأزهر الشريف والتسجيل به ضمن طلابه.

إنّ حياتنا بعد التحاقنا بالمعهد الكتاني بقسنطينة كانت إلى حد ما عادية، فالإقامة بدار بن جلول كانت هي الأخرى مقبولة. إن بساطة سكان حي السويقة التي ضمّت عائلات جزائرية عرف عنها تمسكها بتقاليد الآباء والأجداد وكذا الحفاظ على القيم العربية الإسلامية؛ فتجّار حي السويقة يمدّون سكانه بكل

متطلبات الحياة اليومية الشعبية بأثمان زهيدة إلى حد ما تتماشى والقدرة الشرائية لأغلب سكان قسنطينة، فالطريق الرئيسي بحي السويقة توجد على جانبيه دكاكين مكتظة، رغم ضيق النهج يتعاطى أصحابها جملة من النشاطات التجارية، يغلب عليها عرض هائل للمواد الغذائية على اختلافها وكذا المكسّرات وأنشطة أخرى متنوعة كاللحوم الحمراء والبيضاء. ولم يكن نشاط تجّار أهل السويقة متوقف على القاطنين بها وحسب، بل يقصدها المواطنون ذووا الدخل المحدود والمتوسط لابتياع حاجيات منازلهم اليومية تبعا لأسعارها المتماشية مع القدرة الشرائية لأغلب سكان قسنطينة محدودي الدخل.

كان سي محمد بوخروبة يحدثني باستمرار عن هذا المستوى العلمي المتدني ويطمح إلى آفاق علمية لم يعرب لي عنها بعد، لكنه كان يردد وهو يتألم بـ: **«أنّ الاستعمار البغيض فرض علينا وضعيات كثيرة لا تتماشى وروح العصر، فاستراتيجيته تتمثل في صدّ الأبواب الحديدية في وجه المواطنين الراغبين في التحصيل العلمي والثقافي لأنه يدرك سلفا أن فتح أبواب العلم والثقافة لأبناء الجزائر سيؤدي حتما إلى خلق وعي قومي وروح وطنية قد تقضي نهائيا على هيمنته، لذلك عمل وبكل الوسائل على ترك الشعب الجزائري يتخبط ويصارع مختلف الآفات الاجتماعية الفتاكة كالجهل، والمرض، والفقر، والبطالة والتأخر الاجتماعي، لذا نرى استمرار الانتفاضات الوطنية، آخر إحدى حلقاتها انتفاضة 08 ماي 1945 والتي قدم خلالها شعب الجزائر 45000 شهيد كانت هذه الانتفاضة القطرة التي أفاضت الكأس والمقدمة الأساسية لثورة العصر ثورة أول نوفمبر 1954 الخالدة خلود أرواح شهدائها الأبرار».**

كانت نشاطاتنا السياسية ضمن خلايا حركة انتصار الحريات الديمقراطية بمدينة قسنطينة زيادة على النشاط المعرفي المبذول من خلال المطالعة المستمرة في كل كتاب نتمكن من الحصول عليه ضمن الأمهات والموسوعات الأدبية والعلمية والشرعية، سواء عن طريق الاستعارة أو الاقتناء.

إنّ الثقافة المصرية كانت مسيطرة على توجهنا الثقافي والمعرفي، من هنا كان اهتمام سي محمد بوخروبة منصبا على الإعداد والتخطيط بطريقة سرية لخوض غمار مغامرة الرحلة إلى القاهرة المكلفة ماديا ومعنويا والمحفوفة بالمخاطر، أشرت إلى ذلك بعد.

إن الأحلام التي كانت تراوده باستمرار للالتحاق بالجامع الأزهر الشريف والانضمام إلى طلبته والتمتع بما يلقى من دروس على أيدي علمائه الأفاضل، كان حلما جميلا، لكن تحقيقه عمليا يحتاج إلى طرح بعض المعطيات التي تفضي إلى تحقيق ذلك، فالأحلام الذهبية وحدها لا تكفي، بل يجب إعداد الشروط الضرورية وطرحها للبحث كي يكون الحلم أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال المفرط.

إنّ مقهى البهجة بنهج (شوفالي) يعتبر المكان المناسب والمفضل لنا فيه نراجع الدروس، وفيه نتجاذب أطراف الحديث حول موضوعات شتّى، وفيه نناقش الأفكار الأساسية لما نقرأ في بعض الكتب الأدبية والتاريخية والسياسية والعقائدية أحيانا، كان سي محمد بوخروبة يفضل المطالعة ليلا ويحبذ النّوم صباحا حتى أنه يتغيب عن حضور بعض الحصص الصباحية خاصة الحصة الأولى، كنت كلما ذكّرته بفائدة هذه الحصص الصباحية باعتبار كونها تمثل المواد الأساسية فكان يقول: «**البركة فيما تسجله وتحفظه فإن مراجعتنا الثنائية كافية بإجبار وتعويض ما تأخرت عن حضوره وما أتأخر عنه**

مستقبلا يا أخي فالدروس عبارة عن توجيهات لا غير وأن ما يردده مشايخنا الأفاضل هو مسجل في الكتب يمكننا الإطلاع عليه واستيعابه بكل سهولة وحفظ ما يستوجب حفظه»، أما المكان الثاني المحبّ لنا الجلوس فيه نراجع فيه بعض الدروس ونناقش فيه موضوعات شتىّ فهو (الموليما) غرب مستشفى قسنطينة، هذه المنطقة الحجرية المزينة بصخور أجمل. يشرف الجالس فيها على مناظر خلاّبة، فالجسر المعلق أمامنا والمنخفض الجميل بسيدي لمسيد هو الآخر يسحر الجالسين على تلك المقاعد الحجرية، فالمدينة القديمة أمامنا جميلة هي الأخرى.

كل شيء بمدينة قسنطينة رائع الجمال والسحر، كنا نتردد على دور السينما في بعض الأحيان عندما يروق لنا فيلما ما قصد الترفيه والتخفيف عن متاعبنا الدراسية، تردّدنا قليل جدا على تلك الدور، وفي بعض الأحيان نقصد السطحة المنصورة لمزاولة بعض النشاطات الرياضية ككرة القدم مثلا باعتبارها اللعبة الشعبية المحببة ضمن طلبة المعهد الكتّاني أو المعهد الباديسي فالمنصورة كانت يومها أرض بور في أغلبها ونتيجة عدم توفر دور الشباب والمساحات الخضراء بالمدينة لأمثالنا نحن طلبة المعهدين معا، نلجأ إلى أرض بور على أطراف المدينة كمنطقة المنصورة لمزاولة لعبة كرة القدم، أما العطلة السنوية فكنا نقضيها بالريف حيث نتمتع بهوائه النقي وجمال الطبيعة التي تمتاز الجهة بها، فمرة بحمام دباغ (المسخوطين) وأخرى بإقامة عائلتي أو عائلته بالريف الجميل، وكانت الإقامة بريفنا الجميل الذي تنسج غاباته بساطا رائع الجمال ممتعة بين أحضان الطبيعة الساحرة، فأبو سي محمد بوخروبة الحاج إبراهيم رجل طيب بسيط وكذا والدته كانت هي الأخرى طيبة بسيطة كلما حللنا عندها إلاّ وأكرمتنا غاية الإكرام وتفننت في إعداد الأطعمة التقليدية، وأمي كذلك بسيطة تحبنا وتجتهد في تقديم أجود أنواع المأكولات الريفية لنا. إنّ

احترام أهل الريف عموما لطلبة العلم واعتبارهم الطبقة النيّرة والنخبة التي تستحق كل احترام وتقدير وتبجيل هذه النظرة لها آثار إيجابية على معنويات طلبة العلم تدفعهم إلى الاجتهاد والتفوق على الأقران.

لهذا فكر مليّا خلال عطلة صيف 1951 في القيام بمغامرة تاريخية، لقد كان دوما يتطلع إلى إكمال دراسته بالقاهرة، خاصة بعد عثوره على كراسة تخص عمه عندما حجّ راجلا، يكون قد سجل فيها مرحلة الذهاب من مدينة قالمة إلى القاهرة، اعتبرها خريطة هامة لاستخدامها كوسيلة لمغامرته، إنّ الحاج سجل فيها كل المدن والقرى بدقة حيث كانت هذه المفكرة الوسيلة الأولى في بناء خطة الرحلة.

إنه كان لا يعبأ بالدروس التي يقدمها مشايخ تآكلوا معرفيا من كثرة ترداد ما حفظوه من دروس، إنّ ذلك لا يروي ظمأه رغم مطالعاته المتواصلة وقراءة كل كتاب يقع بين يديه، فالمؤلفات المصرية على الخصوص جعلته يفكر بجد في استكمال دراسته بالقاهرة.

ولكن كيف!؟ ومتى!؟ إذن، لا بد من التفكير بالقيام بمغامرة تمكنه من الوصول إلى ما يصبو إليه لاستكمال تعليمه، وقد استقر رأيه في النهاية على القيام بالمغامرة نحو القاهرة، غير أن ذلك لا يحدث بدون تخطيط محكم، حتى يضمن نجاح تلك المغامرة.

بدأ الشاب سي محمد بوخروبة يبحث أولا عمن يرافقه ويشاركه في هذه المغامرة التاريخية.

إن علاقتي الوثيقة به منذ 1947 توطّدت أكثر بعد التحاقنا بالمعهد الكتاني الكائن بسوق العصر بقسنطينة للموسم الدراسي 1948/1949 حيث كان من نتائج هذه العلاقة الاتصال المباشر بين العائلتين وعقد زيارات متبادلة بينهما، حيث تجذرت أكثر بعد التحاقنا بالقاهرة.

كنا نقيم معا في دار بن جلول التي كانت مقر إقامة طلبة المعهد الكتاني، والتي تعود أصلا إلى الزاوية الحملاوية يومئذ الواقعة أمام معهد الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله ببطحة سيدي الشيخ بالإضافة إلى دار باشتارزي بنهج الأربعين شريف وثالثهما بالقصبة حيث كان يقيم بعض زملائنا بهما، وبناء على الصداقة القوية التي كانت تربطني به اختارني كرفيق له لتلك المغامرة التاريخية من قسنطينة إلى القاهرة، مع الأخوين محمد العربي مومني من دائرة واد زناتي (ولاية قالمة حاليا) ومحمد لخضر مقدم من دائرة فج مزالة (ولاية ميلة حاليا) غير أنهما لم يوفقا في الرحلة

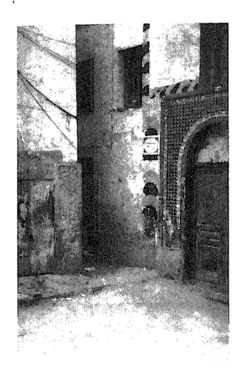


جانب من المعهد الكتاني

لأسباب أجهلها لحد الساعة فرجعا من طرابلس يومئذ أثناء مواصلتنا الرحلة من طرابلس إلى بنغازي أنا والرفيق سي محمد بوخروبة.

لقد كانت الرحلة جد شاقة ومكلفة صحيا ونفسيا، ولكن ذكاء سي محمد بوخروبة كان دائما يذيب ثلوج الصعاب التي كادت أن تحول وتحقيق طموحاتنا أثناء الرحلة مرات عديدة.

رحلتنا من قسنطينة إلى القاهرة عبر تونس وطرابلس وبنغازي، ومرسى مطروح، والإسكندرية، فالقاهرة راجلين خوفا من أن نقع بين أيدي رجال الأمن، لذلك كان لابد أن نسير بمحاذاة البحر على بعد 06 كيلومترات تحاشيا لرجال الأمن، إنّ المسافة بين طرابلس وبنغازي حوالي 950 كيلومتر، صحراء قاحلة موحشة ذكرت في حديثي أثناء رحلة الأمل أننا لم نحمل معنا جوازي السفر باستثناء بطاقتي تعريف رسميتين أثناء قطعنا مسافة 4500 كيلومترا من قسنطينة إلى القاهرة خلال ثلاثة أشهر ونصف مدة رحلتنا.



البطحة: الممر المؤدي إلى دار بن جلول

إني بحكم تزاحم بعض الصور الرائعة التي عايشناها أثناء رحلة الأمل، تلك، من قسنطينة إلى القاهرة والتي تؤكد بأن الشدائد تصنع الرجال فعلا، وقد صنعت شخصية القائد الثوري هواري بومدين، إنه أحبّ وعشق الجزائر العزيزة منذ نعومة أظفاره حتى النخاع، أسجل بكل فخر واعتزاز إنه عاش رحمه اللّه ثوريا، واستشهد من أجل الجزائر ثوريا، وسيحشر بإذن اللّه مع الشهداء الأبرار.

إنّ الشاب سي محمد بوخروبة كان من أسرة معوزة تقطن بالريف لا تملك شيئا سوى الإيمان باللّه و بالوطن، شأنها في ذلك شأن الملايين من أبناء هذه الأمة الثائرة الماجدة، الصابرة، المتواصل كفاحها منذ زمن بعيد، إنّ الشعب الجزائري هُضِمَ حقه في الحياة الكريمة على أيدي غلاة الاستعمار الذين كانوا يزعمون أنهم يعملون بكل الوسائل لمحاصرة الصور الاجتماعية المتدنية التي كانت تهاجم حياة الشعب الجزائري الذي كان يئن تحت وطأتها كالجهل

والبطالة والمرض، والفقر ... إلخ وإخراجه من دوامة تلك الأمراض الفتاكة إلى حياة أفضل، لكن العكس هو الذي حدث، فقد سلط عليه الظلم و الاستعباد، والفقر، ومصادرة حرية الفرد والجماعة معا، كل الآفات الاجتماعية ألّمت بهذا الشعب طيلة قرن وربع هكذا كان يرى غلاة الاستعمار تطبيق مبادئ الثورة الفرنسية في الحرية والمساواة والإنسانية والأخوة ... إلخ، لكن تلك المبادئ كانت شعارات جوفاء للاستهلاك الخارجي مع الأسف الشديد.

إذن، من أجل الإعداد للرحلة لجأنا جميعا إلى بيع حاجياتنا المتوفرة وما أحقرها! وماذا تتصورون أن يبيع سي محمد بوخروبة يا ترى؟ لقد باع مطرحه الذي ينام عليه وبطانية ومخدة وبعض الأغراض الأخرى التي ينبغي التخلص منها، ولكن المؤكد أننا جميعا نحن الأربعة بعنا بعض أمتعتنا بالسوق الشعبي أسفل جسر سيدي راشد والبعض الآخر برحبة الجمال بقسنطينة، ولم يتجاوز ثمن ما بعناه 40 ألف فرنك قديما يومئذ، كان من الممكن أن نحمل معنا مبلغا أكثر نظرا للإمكانيات المادية التي تتوفر لبعضنا، غير أننا كنا نخشى إذا صارحنا الأهل أن يقوموا بإبطال المشروع، ولهذا فضّلنا الحاجة على البوح بما نحن مقبلون عليه! و لقد باع سي محمد بوخروبة فراشه وغطاءه من أجل العلم، وللعلم وحده، رحم الله القائد وأسكنه فسيح جنانه.

إنّ الصور الرائعة التي عشناها طيلة رحلتنا إلى القاهرة ترسمها لنا تلك المتاعب التي كانت تصادفنا بين الفينة والأخرى فالرحلة كانت طويلة وشاقة ونحن لم نضع في حسابنا ما كان ينتظرنا بدقة، تبعا لنقص الخبرة من جهة، وصغر سننا من جهة أخرى خلال هذه المغامرة، خاصة في الإعداد المادي الضروري لها، إنّه اندفاع الشباب الذي كان يدفعنا فعلا إلى ركوب مصاعب جمة تفوق طاقتنا، ورغم ذلك فإن الرفيق دائم التفكير بعمق لإيجاد الحلول المناسبة لأية صعوبة تواجهنا أثناء الرحلة، وما أكثرها! إنها صور رائعة حقا وحية جديرة بالتسجيل والتحليل المعمّق معا، لأنها مرتبطة أصلا بكفاح شاب طموح،

أثبتت الأيام بعد على أنها كانت إرهاصات لقائد ثورة العصر ثورة أول نوفمبر 1954 الخالدة الصامدة في وجه غلاة الاستعمار وشراذم شذاذ الآفاق الذين جلبتهم القوة الاستعمارية الغاشمة لتوطينهم بأرض الكنانة، إنه القائد الثوري الرئيس الراحل هواري بومدين.

لقد واجهنا برد الصحراء القارص ليلا وحرارة النهار تلهب الأجسام، وسي محمد بوخروبة المعروف بنحالة جسمه لا يستطيع مقاومة البرد ولساعته، حيث كنا نقوم بالدفن المتبادل في الرمل ليلا حيث نحفر قبرين بحجم جسمينا بجانب بعضنا فيقوم كل واحد منا بمواراة زميله في الرمل بواسطة القذف المبتادل للرمل، ولا نترك غير رأسينا لأجل الاستمتاع بما تبقى من دفء في الرمل من جهة واتقاء لسعات العقارب والأفاعي من جهة ثانية، ونبقى هكذا تحت الرمل حتى ينبلج الصبح لليوم التالي، وهكذا دواليك، ومن الصور الرائعة المرعبة في آن واحد، إنّه عندما كنا ذات ليلة في صحراء ليبيا نتطلع إلى أخذ قسط من الراحة في النوم هاجمنا ذئب جائع يريد افتراسنا في سكون الصحراء، في تلك اللحظة حاولنا بجميع الوسائل المتاحة إبعاده عنا، غير أن ذلك لم يجد نفعا أبدا أمام إلحاح الذئب الهائج،



منظر من الصحراء الليبية

ولكن صبر ودهاء سي محمد بوخروبة هدأ من روعي بعد ما لاحظت خلال ذلك، أنه جذب حقيبته ثم فتحها بسرعة فائقة وأخرج منها شمعتين مع علبة كبريت فأشعلهما ثم أقامهما أمامنا، حينئذ بادرته بالسؤال، لماذا فعلت هذا يا سي محمد؟ فقال وهو يبتسم ابتسامة المنتصر : «**ألم تعلم أن النار تخيف الحيوانات فلا تقترب منها؟ ألم تقرأ هذا في كتاب الحيوان للجاحظ ؟**» لقد تململ الذئب، ثم فرّ هاربا عندما لاحظ النار تتمايل هنا وهناك بفعل نسيمات الليل الهادئ تحت ضوء القمر ولمعان النجوم في السماء العلا، بعد انصرافه هدأ روعي وما هي إلاّ لحظات حتى غرقنا في النوم نتيجة التعب المضني الذي نشعر به عند نهاية كل مرحلة وطي مسافة تأخذ منا كل طاقتنا، إنّ سي محمد بوخروبة كان يردد دوما عندما تحاصرنا المشاكل: «**صبرا ... صبرا أيها الرفيق.. فالصبر مفتاح الفرج،لا تحزن يا أخي إنّ الله معنا**».

إنّ الرحلة كانت صعبة محفوفة بالمخاطر التي لم تخطر ببالنا ونحن نعد العدة لهذا السفر الشاق، لم ترد عند إعدادنا خطة الرحلة مشكلة التموين الغذائي، وكذا الماء ونحن مقبلون على قطع مئات الكيلومترات عبر أغوار الصحراء الشاسعة التي لا ترحم، مع جهلنا لأهوالها، بالنظر إلى أننا نسكن بالشمال ولم تكن لدينا خبرة أهل الصحراء، المهم أننا في النهاية اعتمدنا على الأدنى من المواد الغذائية كالتمر وبعض الخبز الذي نحصل عليه من مضارب العرب الرحل غير أننا لم نألف بعد طعم هذا العيش، ولم نستسغه، فكسرتهم تختلف كليا عن كسرتنا نحن في الجزائر، كنا نلجأ إليها عند الضرورة لا غير وقد عانينا الكثير في هذا الجانب، بالإضافة إلى عدم انتباهنا إلى الماء غير أننا لجأنا في النهاية إلى وعاء بلاستيكي (بيدون) نملؤه بالماء عند ترحالنا، لقد كان يتعرض للحرارة فيصير ساخنا لا يستساغ شربه إلاّ عند الضرورة القصوى هذا هو زادنا، تمر ... وماء.

إنّ ظلم الاستعمار والحقرة حرمنا من الثقافة والعلم كحق إنساني يمارس بكل حرية، حجب عنا كل المخاطر، ولم تخطر ببالنا أبدا ولم نفكر إلاّ في موضوع وصولنا إلى الأزهر الشريف والأخذ عن علمائه لتنمية معارفنا على أيدي شيوخ هذا الصرح العلمي العريق، ومما حفزنا لهذه الرحلة أيضا، هو أن الاستعمار كان يمد يد المساعدة لأبناء عملائه العلوج من المتعاونين معه كالقياد والباشغوات، والأعيان والشنابط، يرسلهم إلى القاهرة بمنح عالية ويهمش أبناء الشعب الكادح، العباقرة، إنهم يدرسون بالزوايا أو المدارس الحرة كمدارس جمعية العلماء أو حركة انتصار الحريات الديمقراطية! إنّ هذه الحقرة والعنصرية كانت أيضا من جملة الأسباب التي دفعتنا إلى المغامرة، لأن الذي يمكن أن ينجز بالمال الوفير، يمكن أن ينجز بإرادة الشباب والتحدي، لقد كان سي محمد بوخروبة يردد القول بفخر واعتزاز بـ : «**أن الأزهر لنا لأن أجدادنا الفاطميين هم بناته، إذن فحقنا ثابت في الأزهر يا سي شيروف**»، فالرحلة كانت من قسنطينة إلى تبسة فليبيا عبر الجنوب التونسي ولم ندخل لا تونس العاصمة ولا جامع الزيتونة أبدا قبل الثورة إنما حدث ذلك أثناء الثورة بطبيعة الحال، إني أرجو أن يتحرى الكتّاب الذين يتناولون سيرة الراحل هواري بومدين كي نقدم للأجيال الصاعدة معلومات تاريخية دقيقة، فالرحلة كانت عبر الصحاري لأننا لم نحمل أوراقا رسمية، لهذا وجب الهرب إلى الصحاري، بين مضارب العرب الرحل! لقد كان سي محمد بوخروبة يجيد الحديث بالفرنسية بطلاقة لأنه سبق له وأن تابع تعليمه في المرحلة الابتدائية بإحدى المدارس الفرنسية بمدينة قالمة كما سبق، ولكنه كان يحفظ القرآن حفظا تاما كعادة أبناء الريف، مما ساعدنا على كسب قوتنا أثناء رحلتنا عبر البوادي، حيث ينزل العرب الرحل عبر ليبيا ومصر. إنّ الحاجة اضطرتنا إلى امتهان أنشطة مختلفة من أجل الحصول على قوتنا من جهة وجمع ما يمكن جمعه من المال لنتمكن بواسطته مواصلة

الرحلة من جهة ثانية، ومن بين الأنشطة التي مارسناها أثناء رحلتنا عندما كانت الظروف القاسية تدفعنا إلى أن نؤّم مضارب العرب الرحل قصد سد حاجاتنا في الأكل والشرب لدى هؤلاء الرحل الطيبين الكرماء ذوي النخوة العربية الأصيلة، كالفدوة، وتحرير التمائم، والتقزان، وفك طلاسم الكف وقراءة الفنجان والرقية ...إلخ.

إنّ سي محمد بوخروبة كان يردد باستمرار القول بـ : «**أننا لم نخلق لمثل هذا الابتذال لكن صعوبة الرحلة ومشاكلها التي لا تنتهي تفرض علينا أي نشاط مهما كان مستواه !**»، فقلت له يومئذ ماذا تعني؟ قال: «**الحاجة يا سي محمد الصالح !**»، قلت: وماذا نفعل ؟ قال: «**ألم ينعم اللّه علينا بالعقل دون سائر مخلوقاته؟ ألم تكرمنا باديتنا بحفظ القرآن الكريم ؟**» قلت : هذا صحيح، لكن ماذا ترى نحن فاعلان؟ ابتسم وهو يحرك أصابع أنامله النحيفة على الرمل يرسم بعض ما لم أهتد إلى مقصوده! ثم قال: «**إنّ لدينا ثروة كبيرة لو استغلت لكانت نعم العون هي لنا !**» قلت: هات ما عندك يا سي محمد وكفى، قال: «**الفدوة وتحرير التمائم وإذا لزم الأمر التقزان وفك طلاسم الكف، وقراءة الفنجان والرقية ...إلخ، لقاء ما يجود به المغفلون يا سي شيروف من الدراهم أفهمت؟ إنّ العرب الرحل طيبون وكرماء ذووا نخوة عربية أصلية زيادة على تأمين الأكل والشرب لضمان مواصلة الرحلة ـ يا أطنه**»[1] ثم ابتسم وسكت برهة ثم تابع حديثه: «**ألم تعجبك الفكرة بعد؟**» قلت: ألم يرهقنا هذا النشاط بعد طي عشرات الكيلومترات أثناء النهار؟ فقال وهو يبتسم: «**أخي هات البديل إن استطعت**»، ثم خيم بعض السكوت وهو ينظر إلى سراب

---

(1) يا مغفل.

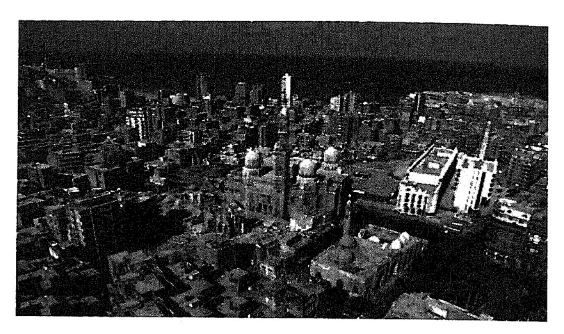
الصحراء في الأفق الذي يوهم الضمآنين إن هناك ماء رقراقا أزرق، ثم التفت إلى مواصلة حديثه: «**قل لي بربك ماذا نحن فاعلان يا ترى ؟**» قلت : لا شيء فأنا موافق على الفكرة باعتبار أنه لا يوجد لدي بديل يا سي محمد، عندئذ قال: «**فلنتوكل على الله من اللحظة في تطبيق ما اتفقنا عليه**» وذلك عندما فكرنا في استئناف الرحلة من طرابلس إلى بن غازي، أشار علي سي محمد أن نقتني عباءتين ليبيتين للتنكر بهما، والتدفئة كذلك أثناء رحلتنا الشاقة، وفي نفس الوقت اقترح لونين الأول أبيض، والثاني بني فعند إقتنائهما احتفظ بالعباءة البني ودفع لي بالعباءة البيضاء. قلت له حينها مازحا: لماذا هذه القسمة؟! فابتسم وقال: «**أخي أنا أبيض تناسبني العباءة البني وأنت أسمر تناسبك العباءة البيضاء وبذلك يمكن أن ندفع الشبهة عنا أثناء سفرنا هذا، أفهمت يا أخي لماذا؟**».

لقد كنّا نقدم أنفسنا لدى العرب الرحل في ليبيا ومصر على أننا مغربيان والعرب الرحل بليبيا ومصر عموما لا يفرقون بين أهل الجزائر وأهل المغرب الأقصى، فالكل من المغرب! وقد لاحظنا أن العرب الرحل ألفوا زيارة أهل المغرب أثناء موسم الحج راجلين. طلبوا منا قراءة القرآن على المتوفين (أي الفدوة) وتحرير التمائم والتقزان وفك طلاسم الكف، وقراءة الفنجان والرقية أيضا، إن أهل المغرب الأقصى كانوا يمارسون هذا النشاط أثناء مرورهم في طريقهم إلى مصر لأداء فريضة الحج، فالطريق أمامنا ممهد إذن والفكرة في حد ذاتها مقبولة، إذ كانوا هم أنفسهم يعرضون الفكرة علينا، وما دمنا قد درسنا الفكرة مسبقا كي نتمكن من التغلب على ما يحدث لنا من مصاعب أثناء سفرنا. عملنا على تطبيق الفكرة ميدانيا وبعد اجتيازنا الحدود الليبية المصرية بمدينة السلوم، شعرنا بأن التعب أنهك قوانا، ارتأينا أن نأخذ قسطا من الراحة، في ركن ما بعيداً عن المدينة، إننا أصبحنا في أمسّ الحاجة إلى

الركون إلى الراحة، غير أننا وبعد مغادرة المكان، لاحظنا رجلين يتجهان نحونا، عندها قال سي محمد بوخروبة: «**يبدو أنها مكيدة دبرها العرب الرحل، ظنا منهم أننا نخفي مالا كثيرا، لكن يا سي محمد الصالح أوصيك بالتزام الحيلة دوما واليقظة واستعمال الذكاء، كل الذكاء حتى نضمن لأنفسنا النجاة**»، قلت له: لك أن تدبر لنا حيلة ذكية إن لاحظنا أنهما يريدان بنا مكروها، قال: «**دع الأمر لي**» وقد ذكرت ذلك عند تسجيلي الرحلة، من قسنطينة إلى القاهرة لاحقا، تظاهرنا إذن بالجلوس، قصد الراحة، غير أننا ما إن جلسنا حتى وقف الرجلان أمامنا، فألقيا السلام ثم استأذنا في الجلوس، فأذنّا لهما، حيث تظاهرا بالتعب فجلسا قليلا ثم شرعا في الحوار محاولة منهما مغالطتنا وإيقاعنا في الفخ للاعتراف بحقيقتنا، وهذا هو هدفهما الأساسي كرجال أمن، غير أنّ سي محمد كان يجيب على بعض الأسئلة بحذر مع محاولة مغالطتهما، أدرك سي بوخروبة انهما مخبران بالأمن وعليه حاول استعمال كل الوسائل لإبعاد الشبهة فيما لاحظاه علينا وكان الأخ سي بوخروبة يستخدم خلال ذلك بعض الألفاظ بالفرنسية والمغربية قصد المغالطة، ثم طلب مني تسليمه الأوراق الرسمية، وهي عبارة عن بطاقتي تعريف بالفرنسية وبطاقتي تعريف مدرسيتين بالفرنسية أيضا، عدا العنوان الكلية الكتانية بقسنطينة فهو بالعربية، حينئذ بدأ الرفيق يراوغ محدثنا باعتبار أننا حجاج وطلبة في نفس الوقت فالبطاقات الشخصية هي جواز السفر، والمدرسية واضحة من العنوان، تواصل الحديث مطولا ورفيقي يحاول إقناعهما بوجهة نظره وفي النهاية استطاع أن يظلل المخبرين، نجونا بفضل ذكاء سي محمد بوخروبة، هكذا أمكن خداع وتظليل المخابرات المصرية يومئذ ومن خلال مواقف كثيرة، أدركت بأن الرفيق ذو ذكاء خارق للعادة وقد أثبتت الأيام صحة ذلك.

حللنا إذن بمدينة القاهرة بعد صلاة عصر يوم 1952/02/15 بعد قطع مسافة 4500 كيلومترا تقريبا في ظرف ثلاثة أشهر ونصف راجلين، ركبنا من أجل ذلك أعظم المخاطر، غيّرنا أثناءها جلدة القدمين مرات عديدة، بعد ذلك سجّلنا ضمن طلبة الأزهر، واستلم كلانا بطاقته المدرسية، فالتي كانت تخصه تحت رقم 521 وبطاقتي تحت رقم 520.

إن سي محمد بوخروبة وبعد وصولنا إلى القاهرة وتمت تسوية التسجيل بالأزهر، وكذا الإقامة بمحافظة أمن القاهرة، بدأ نشاطه الثقافي بقراءة كل ما يقع بين يديه من كتب الأدب والتاريخ والشريعة والعقائد والمقالات الوطنية التي تنشر في المجلات والنشريات اليومية منها الأسبوعية والشهرية، على اختلاف مشاربها بالقاهرة ولم يقف طموحه عند هذا الحد أو ذاك، بل واظب على كل المحاضرات التي تلقى بمركز الإخوان المسلمين بالحلمية الجديدة بالقاهرة، من طرف فطاحلة العلم والأدب لهذا التيار، وذلك مساء كل ثلاثاء من كل أسبوع حتى عرف (بحديث الثلاثاء) ولم يهمل حضوره المنتظم بمركز الشبّان المسلمين بالقاهرة الذي كان يرأسه اللواء صالح حرب، حيث كانت تنظّم نشاطات ثقافية أسبوعية على غرار ما يحدث بمركز الإخوان المسلمين السابق ذكره، عقد علاقات جدّ مهمة مع بعض الأعضاء الفاعلين المعروفين بنشاطاتهم الثقافية والعلمية، إنه كان لا يعبأ بما يعرض في دور السينما بالقاهرة نظرا إلى أن جلّها مبتذل، وكذا دور اللهو والنساء، لأن أحواله المادية لا تسمح بذلك ولأنّ رسالته كانت محددّة وواضحة، ذات لاءات وخطوط حمراء لا يجوز تجاوزها، هذا هو بومدين الذي ولد كبيرا وشبّ كبيرا وجاهد كبيرا، وقاد شعبه كبيرا، واستشهد رحمه الله كبيرا بعد أن هاجر مثلما يهاجر عظماء التاريخ.



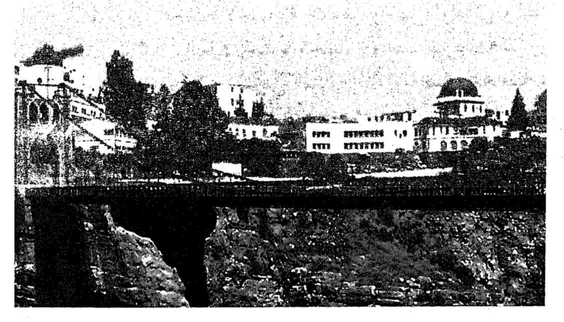
منظر عام لمدينة القاهرة

لقد رسم الطالب القائد محمد بوخروبة معالم النهضة الصناعية والثقافية والزراعية، وحارب الآفات الاجتماعية كالفقر والجهل، والمرض والبطالة، فجعل الطب مجانيا، والتعليم إجباريا مجانيا، إنّ بصمات ذلك عبر ربوع الوطن لا تزال شاهدة على إخلاص القائد لوطنه ومواطنيه، محافظا على عهد الشهداء، ولم يعمل على تكريس الثروة بين يديه، بل عمل على ترسيخ مبادئ الثورة، وحثّ الثوار على مواصلة الكفاح من أجل بناء دولة لا تزول بزوال الرجال.

هذا هو محمد بوخروبة القائد ابن الجزائر البار

رحلة الأمل

تمّ التحاقنا رسميا بالمعهد الكتاني الكائن بسوق العصر وسط مدينة قسنطينة، مدينة الجسور المعلقة ذات المناظر الطبيعية الساحرة، مدينة ذات حضارة متجذّرة، هذه المدينة التي أشعّ منها نور العلم والثقافة على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس حيث أضاء الطريق أمام أبناء الجزائر قاطبة شرقا وغربا شمالا وجنوبا، احتضنت كذلك هذه المدينة أحد أبناء قالمة المناضل، قائد أركان جيش التحرير الذي حرر الجزائر وافتك حرية شعبها وكسّر القبضة الحديدية التي سلّطها الاستعمار الفرنسي على رقاب الشعب الجزائري المهان في كرامته، هذا الاستعمار الذي عاث فسادا فوق أرض الجزائر الحبيبة، الطيب شعبها، الثوريون أبناؤها، المناضلات نساؤها، طيلة قرن وربع، القائد الفذ الراحل هواري بومدين رحمه اللّه.



الجسر المعلق بقسنطينة حيث نرى المستشفى الجامعي

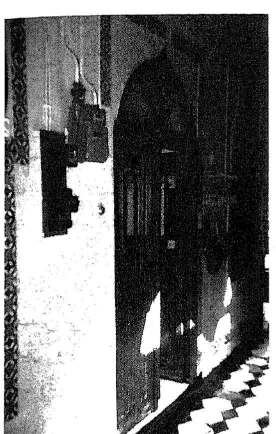
سجّلنا كطلبة بالمعهد الكتاني للموسم الدراسي 48 – 49 وكنّا نقيم بدار بن جلول الواقعة ببطحة سيدي الشيخ قبالة معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس القريب من المدينة القديمة (السويقة) بالطابق الأول الجناح الشمالي منه، في حجرة متواضعة جدا، لا تتسع لأكثر من اثنين، إن النشاط الثقافي والعلمي والسياسي بين طلبة المعهدين: الكتاني والباديسي، كان على أشدّه، وإن التنافس بين طلبة المعهدين بلغ أوجه، تبعا للاتجاه والمنهج الذي يطبقه كل معهد حسب رؤيته للبعد الاستراتيجي الذي يعمل كل واحد منهما على تحقيقه بواسطة الشباب المتعلم باعتباره الشريحة النيرة من الأمة، والتي سيكون لها الدور الفاعل في بث وزرع وتوزيع مبادئ وأهداف وطموحات كل من المعهدين في استعطاف أكبر عدد من المحبين والمتعاطفين والمناضلين عبر مدن وقرى ومداشر الجزائر العزيزة.

إنّ طلبة المعهد الكتاني البالغ عددهم يومئذ حوالي 400 طالب، كان جلّهم ضمن مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية الوجه الجديد لحزب الشعب الجزائري بقيادة الحاج مصالي نحضر بانتظام اجتماعات الخلايا كل في إطار خليته، وشاءت الصدف أن أكون ضمن مناضلي الخلية التي ينشطها سي محمد بوخروبة فالاجتماعات كانت تعقد غالبا في مركز الحزب «النادي» (بالرصيف).



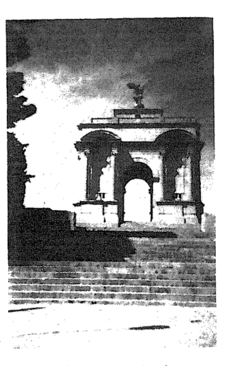
البيت الذي كان يقيم فيه هواري بومدين بدار بن جلول بقسنطينة

وأنّ عددا كبيرا ممن كانوا يقيمون بالدار السالفة الذكر من مدينتي وادي الزناتي وقالمة وما قاربهما، فالأخوان المناضلان حشاش العيد ورابح بلوصيف، ينشطان المنطقة الشمالية من وادي الزناتي عبر القرى والمداشر والدواوير، من برج صباط حتى أربعاء بني مجالد هذه المناطق التي اعتبرها الاستعمار مناطق (محروقة محرمة) أثناء الثورة المسلحة المجيدة، أما مدينة قالمة فلها نشطاؤها أيضا، والمجال لا يتسع لتسجيل مآثر مناضليها الأوفياء المنتشرين عبر تراب الدائرة يكفيها فخرا ما قام به رجالها، ونساؤها، أبناؤها وبناتها في حوادث 08 ماي 1945 حيث قدمت على مذبح الحرية آلاف الشهداء، جرح أثناءها ابن الجزائر البار المناضل القائد الفذ الراحل هواري بومدين جرحا خفيفا فوق ركبته اليسرى، وهو لا يزال بعد برعما في الثالث عشر ربيعا، إنّ حركة انتصار الحريات الديمقراطية قد صقلت مناضليها وأعدّتهم وطنيا كي يكونوا ذات يوم من أكفأ الكوادر لقيادة الشعب الجزائري ضد أعتى قوة استعمارية عرفها العصر الحديث، مدعّمة من قبل أقوى حلف غربي في التاريخ الحديث، هذه الكوادر آمنت بعدالة قضيتها في التحرر من هيمنة المستعمر الغاصب، الموغل في القهر والاستعباد للشعوب المغلوبة على أمرها.



باب الغرفة التي كان يقيم بها هواري بومدين بدار بن جلول

لقد قادت طلائع هذه الحركة ثورة العصر، ثورة أول نوفمبر 1954 الخالدة، قدّم شعبنا أثناءها ما يزيد عن مليون ونصف من الشهداء الأبرار على مذبح الحرية، كي ينعم الأبناء والأحفاد بعدهم بالحياة الكريمة باعتبارها مطلب إنساني.



منظر للموليما بقسنطينة

وفي أمسية ذلك اليوم الأغر من خريف عام 1951 حيث مالت الشمس غربا، ونتأت الأعشاب الخضراء، مكلّلة بتيجان مختلفة ألوانها، كاختلاف ألوان قوس قزح، وارتفعت عاليا، بين صخور منطقة مستشفى قسنطينة الذي يقع بعد الجسر المعلق على ربوة صخرية تطّل باناياته الشامخة على المدينة الجميلة الساحرة مما يزيد في جماله وروعة منظره الخلاّب حيث أقام الاستعمار الفرنسي نصبا تذكاريا (الموليما) على الجهة الجنوبية الغربية المحاذية للمستشفى فوق الصخور الجميلة، مما أضفى على المنطقة جوا من السحر والجمال جعله مطلبا ملحا لمحبي التنزه والتجوال والترفيه عن النفس من أبناء المدينة وزوارها على السواء، وعلى الجانب الجنوبي غربا يوجد المنحدر



منظر جميل لمنطقة سيدي لمسيد غرب مدينة قسنطينة حيث يوجد بها مسبح وحيد

المفضي إلى منطقة سيدي لمسيد الذي يؤمه المستجمون من الشيوخ، والكهول والشباب، حيث يوجد به مسبح وحيد من نوعه على مستوى المدينة، بواسطة مصعد ينطلق من خلف ثكنة القصبة على الكورنيش يخترق مئات الأمتار في قلب الصخور ليصل إلى ضاحية المسبح.

وقد طلب مني سي محمد بوخروبة أن أرافقه في نزهة خارج المدينة بعد أن انتهينا من إنجاز بعض الدروس، فسألته ساعتها أنتخلى عن الدروس؟ ولماذا؟ ولمصلحة من؟ فأجابني بكل هدوء وهو يربت على كتفي بإحدى يديه: «**ألا يحق لنا أن نروّح عن أنفسنا بعض الوقت، بعد ما بذلناه من جهد في إعداد الدروس ومراجعتها؟ هذا جانب، ثم أن هناك فكرة جدّ مهمة طالما شغلت أفكاري خلال عطلة الصيف أريد عرضها عليك أثناء نزهتنا، إني واثق سلفا بأنها ستروقك، إن شاء الله يا بطل**» قلت: كيف تصدر حكمك هذا ؟ دون أن تسمع رأي وأنا أجهل ما يدور في أفكارك! قال: «**ثقتي فيك يا سي شيروف هي التي تشجعني في أن أعرض عليك ما ستسمعه بعد حين، دون أن يخالجني أدنى شك في أنك سترفض، وإلاّ ما حاجتي في أن تشاركني الرأي! وما معنى الصداقة إن لم تكن هناك ثقة متبادلة!**».

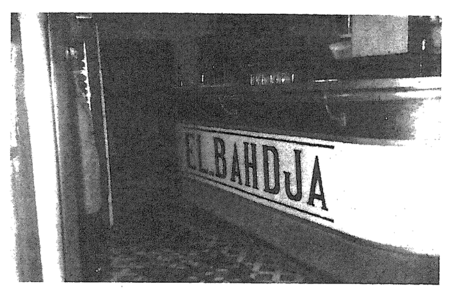
كان اليوم مشمسا، دافئا، يصلح فعلا للنزهة والتجوال وقد وفّق الرفيق في اختيار اليوم والمكان والجو المناسبين لذلك، إنّ بعد الرؤية من ميزات شخصيته، والتخطيط المبني على التحليل العلمي من خصاله، والتفكير الهادئ الذي يتحلى به دوما، وترويض الأفكار إلى أرضية الواقع المعاش من شيمه المعروفة عليه لدى معارفه وأقرانه يومئذ رغم السن المبكّرة، قلت للرفيق: إلى أين وجهتنا يا ترى؟ قال: «**أرجو، وهو يبتسم، أن يكون في**

محفظتك ثمن فنجانين من القهوة إني أشعر بحاجتي إلى فنجان قهوة بمقهى البهجة» قلت: متى كنا نضُنُّ عن بعضنا حتى تسألني عن



مقهى البهجة بقسنطينة سابقا ومطعم حاليا

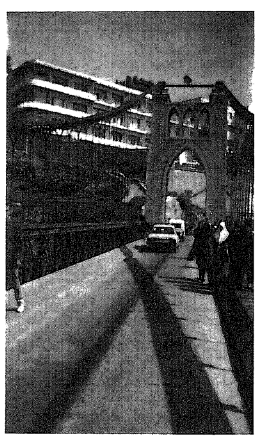
ذلك، وأنت تعرف أن محفظتي باستمرار فيها ولو القليل يا أخي، وحتى إذا نفذ ما فيها فإن سي عبد الوهاب بن طاق موجود، وهو نعم الصديق، على كل حال ضحك سي محمد بوخروبة، ثم قال: **«اتبعني ولا تكثر من الأسئلة والثرثرة، فالوقت يداهمنا، فهو كالسيف إن لم تقطعه قطعك»** قلت له: لك ما تريد وتحب، قال: **«ما نحب معا، لأن الأمر يتعلق بمصلحتنا العليا في مستقبل تعليمنا ياأطنه»** قلت له افصح، لم أفهم بعد ما تعني وما يدور في داخلك لحد الساعة؟ ضحك ضحكة عريضة وهو يضع راحة كف يده اليسرى على فمه كعادته عندما يستغرق في الضحك وقال: **«سوف نتجه إلى الموليما حيث نقضي وقتا ممتعا تحت**



تظهر جليا كتابة البهجة باللغة الفرنسية وهي ما زالت محافظة على كتابتها الأصلية

دفء الشمس والتمتع بمناظر طبيعية خلابة هناك» قلت له: والدروس أنتخلى عنها؟ قال: «**هناك ما هو أهم من ذلك، يا أخي فماذا سيفعل الشيخ لخضر بولحلايس أو الشيخ الطيب بلحنش أو الشيخ عيسى الدراجي أو الشيخ المهدي بن شعيب إذا تأخرنا عن بعض حصصهم اليوم أو غدا؟»**.

إذن، خرجنا من مقر الإقامة (دار بن جلول) في طريقنا إلى مقهى البهجة الكائنة بنهج (شوفالي) و هي لا تبعد عن المعهد إلا بأمتار قليلة، تناولنا فنجانين من القهوة على عجل ثم سرنا في طريقنا إلى (الموليما) جنوب غرب مستشفى قسنطينة أخذ كل واحد منا مقعدا حجريا له و خيّم السكون برهة من الزمان وكان الرفيق على ما يبدو يفكر في الطريقة التي يعرض بها ما أراد أن يفضي به إلي، غير أنني بادرته بقولي : هات ما عندك يا سي محمد فأنا جدّ متشوق إلى سماع ما تختزنه في داخلك! فأطرق قليلا ثم قال بكل رزانة وهدوء و هو يبتسم: «**هل تعرف أحدا أدى فريضة الحج راجلا؟»**



القنطرة الطريق المفضي إلى المولبيا

قلت: لم هذا السؤال؟ قال: «**فقط أردت أن أعرف ذلك**» قلت:لا، قال: «**ألا ترى معي أن طلب العلم والثقافة، في حد ذاته يعد حجا**» قلت: نعم، ولكن وضّح، ماذا تريد من ذلك كله؟ قال: «**ثقتي فيك لا حدود لها يا سي محمد الصالح لذلك، فإني سأتحدث إليك بصراحة لا التواء ولا غموض يكتنفها، إنّ ما شغلني خلال عطلة الصيف، كان هاجسا قويا حقا لذلك، رأيت من الأفضل أن أعرض عليك ذلك أثناء جلستنا هذه**» قلت: هات ما عندك إني كلي آذان صاغية، وأنّ كل شيء سيكون على ما يرام يا أخي قال: «**لقد فكرت مليّا خلال العطلة ودرست محتوى ما سأفضي به إليك وحسبت حساب كل شيء، اسمع جيدا، لقد فكرت خلال العطلة الصيفية، بعمق، وحصلت لي قناعة تامة، في أن أسافر إلى القاهرة**» قلت: إلى القاهرة مرة واحدة! قال: «**نعم هذه هي قناعتي، ومن أجل مواصلة تعليمي عند فطاحل العلم والأدب بالقاهرة أفهمت يا أخي؟! وقد أعددت لكل شيء عدّته فأحضرت معي**

دليل السفر إن وافقت طبعا» قلت: إنّها فكرة جيدة يحبذها طلاّب العلم، ودون أن أترك مجالا لتختمر الفكرة داخلي أجبت: نعم فأنا موافق على مصاحبتك مبدئيا قرار لا رجعة فيه دون أدنى تحفظ، ولكن، أرني الدليل الذي ذكرته لي قبل قليل فوضع يده في جيبه، وهو يبتسم ابتسامة علامة الرضا وأخرج كراسا صغير الحجم وقال لي: «**هذا هو الدليل**» وهو عبارة عن أسماء مدن وقرى سجلها أحد أقربائه على ما ذكر عندما حجّ راجلا من مدينة قالمة إلى مدينة القاهرة الذي سيساعدنا على إنجاز رحلتنا إلى مدينة القاهرة، «**وإنك ما دمت على رأي في ذلك لا بد أن نشرع في تطبيق الفكرة على أرض الواقع، من الآن علينا أن نحقق هذا الحلم الذي نعتبره غاية غايتنا الكبرى»** قلت: نعم، ولكن لماذا لم تخبرني أثناء العطلة الصيفية بما عزمت عليه، لكي نتمكن من جمع ما أمكن من النقود قال: «**النقود ليست مشكلة»** قلت: ماذا تعني؟ قال: «**الإرادة القوية والتصميم على القيام بإنجاز هذه الرحلة رحلة العمر، هو المهم، إذا توفرت النية المقرونة بالعمل الجاد، هان كل شيء، ويصبح إنجازنا لهذه الرحلة، قاب قوسين أو أدنى»**، وهو يمد يده طالبا مني مد يدي لنتعاهد وبريق الأمل يشعّ من عينيه، على المضي في تحقيق هذه السفرة التاريخية، مع السرية الكاملة، ولن نجهر بها حتى مع أنفسنا لأنّ سرّ نجاحها يكمن في التخطيط لها بصورة سرية، رددنا معا القسم التالي فوق صخور مدينة قسنطينة الرائعة واليدان متشابكتان: «تالله وعهد الله بيننا، أن نواصل الرحلة بكل أمانة، وإن مات أحدنا أثناء السفر، وجب على الثاني مواراة جثمانه في التراب ويواصل مسيرته حتى يبلغ الهدف الذي من أجله، نأخذ على عاتقنا عهدنا هذا، والله شاهد على ذلك»

غادرنا المكان إذن والفرحة تغمرنا نتيجة ما أنجز خلال تلك الجلسة التي اعتبرت فيما بعد بالتاريخية، بعد أن عقدنا العهد على الصخور السالفة الذكر، واعتبرنا ذلك، موقفا ثوريا، قلّما يحدث لمن هم في سننا آنذاك، وتكملة للمشهد المشار إليه آنفا، وفي أثناء ذلك وقبل إغلاق الباب عن الموضوع، سألني سي محمد بوخروبة فيما: «**إذا كان من الممكن إيجاد مرافقين لخوض هذه المغامرة الصعبة، إن الطريق طويل يا سي شيروف محفوف بالمخاطر لذا نرى أنه من الأفضل ومن باب الحكمة أن نبحث و نجّس النبض لدى بعض الأصدقاء من الطلبة الذين يرغبون في السفر معنا، على ألا يتعدى اثنين لا غير ومن المؤّكد أن هناك من يرغب في السفر لطلب العلم سيما إلى القاهرة من بين أصدقائنا، لكن بقي علينا أن نتحرى، وفي سرية تامة عن العنصرين اللذين يمكن أن نعثر عليهما، عند بحث الموضوع ثانية وإن أي خطأ أثناء تحركنا في هذا المجال، سيؤدي حتما إلى إفشال الرحلة**» وهو ما لا يقبله سي محمد بوخروبة إطلاقا لقد كان يؤكد باستمرار أنه لن يقبل بالفشل عند بحث الموضوع، «**إنّ فشلنا يا سي شيروف سوف يجعلنا أضحوكة في المعهد وفي وسط العروش وأنّ الأهل سيتعرضون لذلك أيضا، فتقاليد وعادات أهل الريف تختلف جذريا عن عادات وتقاليد أهل المدن، أفهمت يا أخي؟! فالبحث إذن يجب أن يكون في إطار السرية الكاملة لتفادي أي مشكلة قد تكون سبب إعاقتنا في تحقيق أمنيتنا الكبرى في الترحال إلى مدينة العلم والعلماء القاهرة**».

عدنا في تلك الأمسية الجميلة إلى مقر إقامتنا بدار بن جلول، والفرح يغمرنا كأننا سافرنا إلى القاهرة فعلا، تم الاتصال بعد ذلك بالرفيقين محمد العربي مومني ومحمد لخضر مقدم فالأول من وادي الزناتي (ولاية قالمة حاليا) والثاني من فج مزالة (دائرة ولاية ميلة حاليا) بعد أن استكمل جانب التحقيقات السرية التي أجريت في حق الرفيقين من قبلنا قبل مصارحتهما بموضوع الرحلة وإشراكهما في موضوع السفر والإعداد له، بعد العهد الذي قطعناه معا على كتمان الموضوع والاستعداد له بصفة سرية للغاية، لنضمن لذلك أدنى شروط النجاح، حصل الاتفاق إذن بيننا نحن الأربعة على السفر راجلين في سرية تامة، وعدم إفشاء سر ذلك حتى لأقرب المقربين من الأهل والأصدقاء، لكن بقي علينا أن ندبّر الأمر، وفي أمد قصير جدا، قام كل واحد منا في حدود إمكانياته المادية وما تسمح به ظروفه الخاصة بإعداد مستلزمات السفر، فباع كل واحد منا أمتعته، ومخدة، وغطاء، وكتب وبعض الأغراض الأخرى التي يجب التخلص منها، عرضناها في السوق اليومي تحت قنطرة سيدي راشد وبرحبة الجمال كذلك، وإتلاف الكراريس من أجل قطع خط الرجعة أمام الكل.

إنّ ما جمعناه نحن الأربعة، كان ضئيلا جدا، لا يتجاوز 40.000 ألف فرنك فرنسي قديما، وبعد استكمال ما كنا نراه كشروط أساسية لنجاحنا في الرحلة، وفي ظرف قياسي جدا، حددنا يوم الرحيل من قسنطينة إلى مدينة تبسة، حجزنا تذاكر السفر على إحدى الحافلات المتوجهة إلى تبسة، المحطة الأولى لمغامرتنا تلك وستتلوها محطات أخرى، بطبيعة الحال، لكن سي محمد بوخروبة كان يؤكد دوما على: «**أنّ توفيقنا في إنجاز هذه الرحلة بنجاح، أمر حيوي بالغ الأهمية، إذن لا بد من النجاح مهما كانت الظروف**» إن الرحلة كانت سرية جدا كما ذكرت حتى على أقرب المقربين إلينا فالآباء كانوا لا

يعلمون شيئا عما يدبّره أبناؤهم بمدينة قسنطينة، وقد حدث فعلا بعد أن علموا بسفرنا، أو بالأحرى اختفائنا فجأة، اتصل الآباء بمدير المعهد، وطلبوا منه البحث عن اختفائنا المفاجئ والعثور علينا استخدمت كل الوسائل المتاحة لدى السلطات المحلية الفرنسية في البحث عنا، لكن دون جدوى، والطيب كعبش المشرف العام على المعهد واصل المحاولة مع السلطات المحلية في العثور علينا، لكن كل المحاولات في البحث عنا باءت بالفشل.

إنه يبدو غريبا جدا، إذا قلت، إننا ونحن نستعد للسفر إلى القاهرة لم يحرز أي منا نحن الأربعة، لا على جواز السفر، ولا على ما يشبه ذلك، وإنما كل ما حملناه من وثائق رسمية هو عبارة عن بطاقات التعريف الشخصية الرسمية، وبطاقات التعريف المدرسية قبل سفرنا من قسنطينة إلى مدينة تبسة، لكن قبل ذلك حصلنا على توصية من مركز الحركة بقسنطينة إلى شخصية حزبية تقيم بمدينة تبسة هو الأخ الباهي، شخصية ثورية تعد ضمن كوادر الحركة الأكثر نشاطا بالمدينة الصامدة في وجه الاستعمار الغاشم منذ أن وطأت أقدامه النجسة تربتها الطاهرة عام 1830، مدينة الشيخ العربي التبسي، هذه المدينة التي احتضنت الحركات الوطنية الثلاث: حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحزب أحباب البيان، فاستوعبت هذه الحركات دون أن يحدث أي تناقض فيما بينها مطلقا وبقي مناضلوها أوفياء للوطن المفدى طيلة 125 سنة التي رزحت فيها الجزائر تحت هيمنة المستعمر الفرنسي منذ عام 1830 قد يعود احتواؤها لهذه الحركات المتفاعلة من أجل تحرير الوطن المفدى إلى روح الوفاء تجاه الوطن والمواطن، ووجود شخصية العلامة الشيخ العربي التبسي الوطني دون منازع والذي كان قمة هرم النضال الوطني خلال تلكم المرحلة من العمل الثوري، إن مواطنوا مدينة تبسة الذين عرف عنهم الصمود والثبات في شموخ أمام

همجية المستعمر وصلافته لم تثنهم عن مواصلة النضال حتى فجر يوم 19 مارس 1962، هذه هي المدينة التي كانت ولا تزال قلعة للوطنية الصادقة الشامخة شموخ الجرف الأشم، جعلنا منها قاعدة لانطلاق رحلتنا صوب القاهرة يومئذ، كيف لا؟ وهي التي كانت وما تزال مركزا للإشعاع الوطني الذي لا ينبض معينه أبدا.

بلّغنا المناضل الثوري الباهي -على كل حال- الرسالة بعد حلولنا بالمدينة -والحق يقال- إن الرجل أكرم وفادتنا واستقبلنا بحفاوة بالغة واستضافنا بمنزله حيث أقمنا عنده يومين أو ثلاثة، وأهل تبسة معروف عليهم الكرم منذ القدم، المهم، إنه قدم لنا كل المساعدات والإرشادات الضرورية أثناء رحلتنا تلك، واقترح علينا أن ننقسم إلى مجموعتين حتى نتمكن أن نفلت من رجال الحدود، وطلب منا أن نتصل بشخص تونسي من مدينة قابس التونسية، لم أستحضر اسمه بعدُ لطول المدة.

إنّ عبورنا الحدود الجزائرية التونسية، كان بواسطة (Guide) أي دليل بأجر طبعا، بواسطة ومعرفة الرجل التبسي الطيب المضياف لكن الطريف في الأمر ما حدث عندما وضعنا الانقسام موضع التنفيذ لقد اتفقت مع سي محمد بوخروبة مسبقا على أن نلازم بعضنا تنفيذا للعهد الذي أخذناه على أنفسنا فوق صخور مستشفى قسنطينة وعندما شرعنا في الحديث عن الانقسام، انحزت إلى سي محمد بوخروبة، وقلنا يومها إنّ سي مومني وسي مقدم يكوّنان المجموعة الثانية، غير أنّ سي مومني لم يرض بهذا التقسيم، وفضّل أن يكون معي، لكنّه أقنع بأن الأمر هيّن وأننا سنلتقي إثر كل مسافة كبيرة نقطعها.

جمعنا ما بقي من المال وقسمّناه على اثنين، حيث سبق أن جمعنا مصروف الرحلة في يد واحدة، غير أنني كنت أخفي مبلغ 30.000 ألف فرنك فرنسي قديما على الزملاء جميعا فوجئ سي محمد بوخروبة بمدينة

طرابلس الليبية بهذا المبلغ، حيث قال: «**إنك يا سي شيروف عفريت حقا، كيف أخفيت عنا هذا المبلغ الهام من قسنطينة إلى مدينة طرابلس؟**» قلت له: لقد كنت تقول دوما إنّ الحيلة رأس مال كبير أنسيت ذلك يا أخي؟، قال: «**ذاك صحيح**»، بعد تعب كابدناه طويلا أثناء رحلتنا من قسنطينة إلى القاهرة عبر تبسة فالحدود الجزائرية التونسية المشتركة بدءا بمدينة قابس، ومدنين وبن قردان حيث الحدود المشتركة بين تونس وليبيا ورقدالين، واجميل والعاجلات، وطرابلس، وطبرق، وبن غازي ودرنة فالسلوم الحدود المشتركة بين ليبيا ومصر، ومرسى مطروح والإسكندرية وطنطا فالقاهرة، لقد كان اجتماعنا الأخير نحن الأربعة بمدينة طرابلس الليبية إذ لم نلتق بعد حتى الاستقلال وفي مدينة طرابلس، تعرّفنا على رجل من وجوه المدينة، تبيّن لنا بعد، أنه تونسي مهاجر، يملك متجرا كبيرا في شارع عمر المختار، لكنه كان سياسيا وطنيا واعيا، فأكرمنا الرجل غاية الإكرام، أقمنا ضيوفا عنده ليومين، بقي أن أشير إلى اتفاق وقع بيننا نحن الأربعة بمواصلة الرحلة على أن نلتقي كالعادة في مدينة بن غازي الليبية التي تبعد عن طرابلس كما قيل لنا يومئذ بحوالي 950 كيلومترا، طريق صعب اجتيازه من طرف من كان راجلا، دبّرنا على كل حال كيفية خروجنا أنا وسي بوخروبة، من المدينة مع رجل يسوق شاحنة، دائما بواسطة الأخ التونسي الذي سبق ذكره حملنا مسافة 20 كيلومترا تقريبا، ثم نزلنا قرب قرْية نسيت اسمها حيث بتنا في الخلاء خوفا من وقوعنا بين أيدي رجال الأمن، إذ كنا نتخفى تحت عباءتين كما ذكرت آنفا شهر كامل من طرابلس إلى بن غازي قطعنا خلاله حوالي 950 كيلومترا، لأننا لم نتبع في أكثر الأحوال الطريق المعبد، بل اخترنا السير بعيدا عنه بحوالي 05 كيلومترات لتفادي رجال الأمن من جهة ولتأمين الأكل والشرب لدى العرب الرحل من جهة أخرى، كنا نمشي مرة بالنهار، وأخرى بالليل تحت هدي النجوم، وكلما شعرنا بالتعب



منظر عام لمدينة طرابلس بليبيا

لجأنا إلى أخذ قسط من الراحة ليلا أو نهارا، مقيّد ذلك بالظروف ثم نستأنف بعد ذلك السير، وهكذا دواليك وكانت نجوع العرب كما يسمونها، هي المأوى الوحيد الذي نلجأ إليه عند الحاجة كانوا كرماء إلى أبعد حدود الكرم، وكنا كلما قصدنا نجعا إلاّ وقرأنا فيه القرآن ليلا، كما يحدث عندنا حيث يقرأ القرآن على روح المتوفى (الفدوى) كان صاحب النجع يتكرّم علينا بما جادت به يداه من المال جمعنا الكثير بهذه الوسيلة، مما ساعدنا على مواصلة رحلتنا الشاقة تلك ولم نكتف بتلاوة القرآن بل تجاوزناها إلى تحرير التمائم، والتقزان وقراءة الفنجان، والتبراج وفك طلاسم الكف ...إلخ نزولا عند رغبة مضيّفينا الذين ألفوا ذلك من حجاج المغرب الأقصى راجلين لقد كان مردود ذلك طيبا، غير أن سي محمد بوخروبة كان غير راض لما آلت إليه حالتنا، لكنه كان يعلل ذلك بما ألزمتنا إليه ضرورة السفر إذ كان يردد القول: «**في سبيل بلوغ الأهداف يهون كل غال**» وهكذا استمر الحال حتى وصولنا إلى مدينة بن غازي مدينة عمر المختار، حيث كان سي بوخروبة يتمّثله دوما كلما قهرنا العياء، وحز في عضدنا التعب بقوله:

«كيف يمكنك يا صحراء، بما فيك من أهوال أن تقهرينا، والغاصب المستبد، لم يكن بإمكانه مع توفر كل أسباب القوة لديه قهر عمر المختار الذي جعل من كثبانك المترامية حصونا له في نضاله ضد المستعمر، لقد كنت ولا تزالين دوما عونا للضعفاء والأحرار، أيتها الصحراء، رفقا بالضعفاء!»، هكذا كنا نكابد أعباء هذا السفر الشاق المضني حتى نزلنا بمدينة بن غازي مكثنا بها قرابة 10 أيام، نقيم بين إخواننا العمال المهاجرين من تونس والجزائر والمغرب في أكواخ قصديرية مهينة لكرامة الإنسان، ننتظر وصول الرفيقين، مومني ومقدم من طرابلس طبقا لما اتفقنا عليه آنذاك ولكن سي بوخروبة بدا عليه القلق والملل، ونحن نقيم في بن غازي لليوم العاشر دون أن نفكر في شيء سوى في قدوم الرفيقين، قال سي بوخروبة: **«يا سي شيروف علينا أن نستعد لمواصلة السفر، لأن مومني ومقدم يكون مصروفهما قد نفذ وعادا على ما يبدو إلى الجزائر أو تونس»** والغضب باد على محيّاه، قلت له: ليكن سفرنا من هنا الليلة إن شئت تحت جنح الظلام حتى نضمن لأنفسنا سلامة الوصول إلى الحدود الليبية المصرية.

إن المنطقة من بن غازي حتى السلوم سهلية، تمتاز بكثافة أشجارها، وتعانق أغصانها في نظام بديع، عليها مسحة جمالية رائعة تبدو كأنها بساط أخضر، على جانب كبير من الجمال والسحر تجذب إليها كل عشاق جمال الطبيعة الخلاب، هذه المنطقة الخضراء ذات الجمال الرائع، ذكّرتنا بغابات جبال دباغ، وبوعربيد وبوصنيب المتعانقة أغصان أشجارها في نسق، جد بديع، إن هذه المنطقة الشرقية من ولاية بن غازي، تعد من أجمل مناطق ليبيا، هذه الغابات التي دارت فيها معارك وطنية تاريخية ضد المستعمر لفترة من الزمان، سيطر فيها على شعب ليبيا الشقيق. بعد أسبوع من مغادرة مدينة بن غازي، حيث كنا نسير سيرا حثيثا، حينا راجلين و أخرى راكبين، وصلنا

قرب نقطة الحدود، إذ لم نتمكن هذه المرة من إيجاد دليل نثق به، خاصة ونحن على أبواب الحدود المصرية التي طالما تشوقنا إليها، فما كان منا إلاّ أن نواجه الموقف بصرامة أكثر وعزيمة أقوى، وإرادة العبور دون كلل، رغم الإعياء الذي أخذ منا مأخذه عبرنا الحدود. اقترح سي بوخروبة قبل ذلك أن نبتعد قليلا عن نقطة الحدود من الناحية الجنوبية الشرقية، بعيدا عن عيون شرطة الحدود بحوالي 5 كيلومترات نبحث عن ثغرة خلال الأسلاك الشائكة التي تفصل بين حدود البلدين ليبيا ومصر. كانت المنطقة صعبة طبيعتها وقد بدا علينا أثر العياء، بحيث أصبحنا شبه عاجزين عن مواصلة السير، لكن إرادة سي بوخروبة في اجتياز الحدود شجعتنا على مواصلة السير ليلا، بعد معاينة المكان الذي يمكن لنا النفاذ منه إلى أرض الكنانة، وبعد غروب الشمس بقليل توكلنا على الله وقطعنا نقطة الحدود، بعد أن أمضينا ليلة تاريخية لا يمكن نسيانها أبدا وعندما شعرنا بأن نقطة الحدود تبعد عنا غربا بحوالي 7 كيلومترات أحسسنا بأن السير أرهقنا نتيجة سيرنا طيلة ليلة كاملة تقريبا مع الخوف من أن يكتشف أمرنا. وقع اختيارنا، إذن على مكان مأمون لنرتاح فيه بعض الوقت، حينئذ قال سي بوخروبة: «**أشعر بتعب وإنني في حاجة ماسة إلى أن أغفو قليلا وأنت تقوم بالحراسة، ثم أخلفك لترتاح أنت بدورك**» كان ذلك في حدود الساعة الخامسة صباحا ولكن ما إن أغمض عينيه حتى غرقت قبله في نوم عميق، ولم نستيقظ إلاّ بعد الزوال (قبل العصر بقليل) ذلك لأننا لم نذق طعم النوم ليومين سابقين.

استأنفنا السير، لكن التعب كان باديا علينا، لذا فضّلنا أن نقصد إحدى مضارب العرب الرحل كالعادة، كان ذلك في حدود الساعة الخامسة مساء، حيث تبيّن لنا أننا تركنا نقطة الحدود بما قدرناه يومئذ بـ 16 كيلومترا، اقتربنا من خيمة كبيرة كان يجلس أمامها ثلاثة أشخاص حول موقد يعدّون الشاي عليه، فحييّناهم فردوا التحية، ثم أذنوا لنا بالجلوس، فجلسنا حيث قدم لنا الشاي

فشربنا وبتنا ليلتنا في هدوء حتى الصباح، فاستأنفنا بعد ذلك الرحلة لكن ما إن سرنا مسافة 200 متر حتى لاحظنا رجلين يتجهان نحونا، عندها قال سي بوخروبة: **«يبدو أنها مكيدة دبّرها بعض العرب الرحل ظنا منهم أننا ربما نخفي مالا كثيرا، ولكن يا سي شيروف أوصيك باستعمال الحيلة واليقظة والذكاء، كل الذكاء حتى نضمن لأنفسنا النجاة»** قلت له: لك أن تدبّر لنا حيلة ذكية إن لاحظنا أنهما يريدان بنا مكروها قال : **«دع الأمر لي»**، اقترب الرجلان منا وألقيا علينا السلام فرددنا التحية، فطلب الرجلان منّا الإذن بالجلوس طلبا للراحة، فأذنا لهما فجلسا، لكن بعد جلوسهما قليلا، لاحظنا من خلال حديثيهما معنا أنهما يريدان النفاذ إلى معرفة حقيقتنا ومقصدنا وهويتنا ...الخ، قال سي بوخروبة وهو يوجه حديثه لهما : **«إننا نأمل أن نؤدي زيارة إلى بيت الله الحرام إن شاء اللّه»** لكنّ أحدهما قال : يبدو عليكما خلاف ذلك، وهنا أدرك الفتى بوخروبة أنهما من رجال الأمن خاصة وأنّ سنة 1951 قد وقعت خلالها مدينة القاهرة فريسة لنيران التهمت جل المؤسسات العامة بها، لعبت أصابع الاستعمار الإنجليزي بالتحالف مع القصر الملكي والعملاء دورا أساسيا ومحكما لصرف أنظار الشعب المصري عن الفساد الذي أصاب المجتمع المصري. إنّ هذه الأحداث عرفت فيما بعد بحرائق القاهرة عام 1951 وإنّ الرجلين شكا في مقصدنا وهذا قد يدعوهما إلى التفكير بأننا جواسيس، لذا قال لهما سي بوخروبة: **«إننا تلاميذ وحجاج في آن واحد»** ثمّ طلب مني أن أقدم لهما جوازي السفر وهما عبارة عن بطاقتي تعريف رسميتين وبطاقتي تعريف مدرسيتين كتب عليهما بالعربية الكلية الكتانية مدعّمة بختم عربي بمدينة قسنطينة وما عداه فمكتوب بالفرنسية، وقد سبق ليأن ذكرت ذلك في مكان آخر من هذه العجالة، نجحنا على كل حال وفلتنا من قبضة رجلي الأمن المصريين بأعجوبة.

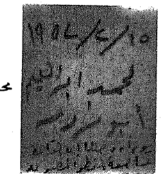
هنا أدركت فعلا مدى ما يتمتع به رفيق دربي من ذكاء حاد وبديهة ناصعة وأنه يتمتع بإرادة قوية وعزيمة لا تلين أمام معضلات الأمور و ذكاؤه يشبه إلى حد كبير ذكاء العباقرة العظماء ودهاء عظماء التاريخ، رغم أنه لا يزال بعد صغير السن فعقله أكبر بكثير من سنه، إذ لم يتجاوز بعد التاسع عشر ربيعا، كيف لا وهو ما أثبتت لنا الأيام أنه القائد المحنّك والبطل المغوار والزعيم الذي لم يبخل عن بلده وشعبه طيلة ربع قرن بكل غال و نفيس أثناء معركة التحرير وبعدها مرحلة التشييد والبناء، قرّرنا بعد هذه الحادثة أن نلجأ ونحن نزحف إلى القاهرة إلى ساحل البحر، بعيدين عن أعين المسافرين وعن الطريق المعبد، لكن رغم الصعوبات التي اعترضت طريقنا مما يعجز القلم السيّال عن وصفه، واصلنا الرحلة إلى القاهرة، سرنا راجلين حتى إحدى ضواحي مدينة مرسى مطروح، مكثنا هناك ثلاثة أيام بلياليها كنا نشعر أثناءها بالقلق والحيرة، لكن إقامتنا تلك مكنتنا من أن نتعرّف على أحد وجوه الخير فطلبنا منه تدبير أمر سفرنا على متن إحدى الشاحنات المتجهة إلى مدينة الإسكندرية وكان لنا ما أردنا نزلنا إذن بمدينة الإسكندرية ليومين كاملين قصد الراحة، ثم واصلنا رحلتنا إلى القاهرة عن طريق الدلتا، استمرت رحلتنا من الإسكندرية إلى القاهرة 15 يوما، مرة راجلين و أخرى راكبين، غير أنني أذكر أنّ إقامتنا بمدينة طنطا في زاوية الشيخ البدوي حوالي يومين طلبا للراحة بعد أن شعرنا أن قوانا قد أنهكها التعب والعياء تماما، لكن شوقنا المتزايد إلى مدينة القاهرة وشعورنا القوي بأننا وصلنا فعلا رغم عشرات الكيلومترات التي لا تزال تفصل بيننا، فخفف عنا هذا الشعور من متاعبنا إلى حد بعيد، ثم واصلنا رحلتنا حتى دخلنا مدينة القاهرة التي ركبنا من أجل الوصول إليها أعظم المخاطر، قطعنا خلالها ما يقارب 4500 كيلومترا، غيّرنا أثناءها جلدة القدمين عدة مرات دخلنا مدينة القاهرة راجلين بعد صلاة العصر واتجهنا إلى رواق المغاربة بالأزهر الشريف بعد سفر شاق دام ثلاثة أشهر ونصف، كان ذلك مساء يوم 1952/02/15.

أيامنا الأولى بالقاهرة

لم يكن من السهل علينا ونحن نقيم بالقاهرة كطلبة خلال المرحلة الأولى من وصولنا إليها أن نجد الوسائل المساعدة على التكيف مع المحيط الاجتماعي الجديد، فصخب الحياة بمدينة القاهرة يحول دون التكيف مع المجتمع الجديد بسهولة، ذلك لأننا لم نعدّ أنفسنا لهذه المرحلة ولم تكن لدينا صورة واضحة المعالم عن المجتمع المصري عموما إن نقص الخبرة من جهة وصغر سننا من جهة ثانية ساعد على جعل الصورة معقدة مبدئيا بخصوص انسجامنا وتكيفنا مع البيئة الجديدة ذات التقاليد والقيم التي لم نألف الكثير منها في حياتنا بعد، إنّ الحياة المتواضعة التي يحياها الشعب المصري المرح لا محالة تساعد كل عربي على التكيف مع المجتمع القاهري، رغم أنه خليط يضم المسلمين وهم الأغلبية الساحقة والمسيحيين (الأقباط) وهم قلة على كل حال لكن القيم والعادات المصرية واحدة لدى هذا النسيج الاجتماعي.

حللنا بالقاهرة أمسية يوم 15 فيفري 1952 فأقمنا برواق المغاربة داخل الجامع الأزهر عدة أسابيع، إقامة بسيطة يعاني الطلبة المقيمون بها مختلف المشاكل، إنّ





كتب على ظهر هذه الصورة:

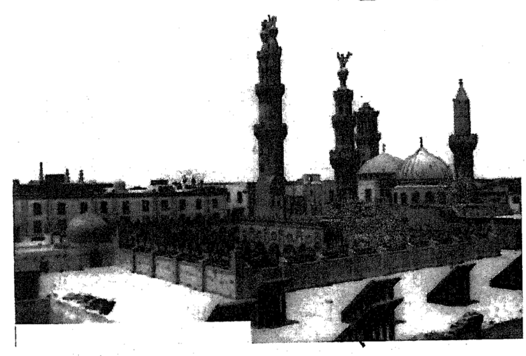
1952/02/15

محمد إبراهيم بوخروبة يوم وصولنا إلى القاهرة عاصمة القطر المصري

هذا الرواق مكان عبور لا غير فالوسائل الضرورية به منعدمة ولم يتمكن أي طالب من الحصول على سرير وماطلة ومخدة إلاّ بعد إجراءات إدارية مع مسؤولي إدارة القسم إذ يقوم الطالب بعملية التسجيل لدى مصلحة التنظيم التربوي أولا ثم بعد فترة زمنية معينة يحصل الطالب على بعض مستلزمات الإقامة مؤقتا وكذا مساعدة

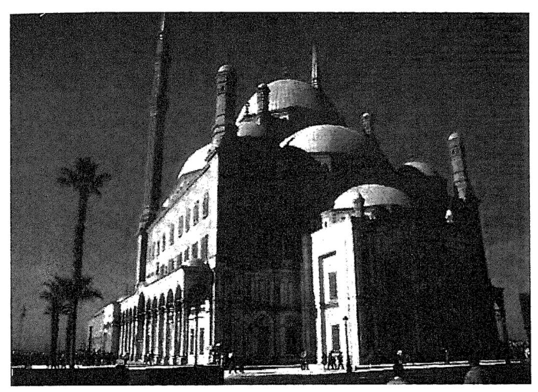
مادية بعد ذلك كل شهر تقدر بـ 3، 5 جنيهات ونصف، هذا هو المورد الأساسي للطالب المنتسب إلى القسم العام أو معهد القاهرة الديني التابع للجامع الأزهر ضمن المعاهد الدينية المنتشرة عبر محافظات مصر.

هذه هي المرحلة الأولى ثم تأتي بقية المراحل كتأمين الأكل في إحدى المطاعم الشعبية الموجودة بحي الأزهر الشريف، اتصل بنا الأخ الفاضل مدني سليمان الطالب بجامعة القاهرة هو من صور الغزلان بالبويرة، بحكم مرافقته تعرفنا على بعض جوانب الحياة بالقاهرة خاصة منها الشعبية أمّنا على كل حال وجبات غذائية بـ «لكريدي» لدى إحدى المطاعم المختصة في تقديم وجبات من (المدمس) الفول باعتباره الأكلة الشعبية المنتشرة عبر أحياء القاهرة الشعبية، أكلة الضعفاء أمثالنا، تكلف الوجبة الواحدة (طبق مدمس ورغيفان) قرش صاغ أي 10 فرنكات قديمة، هذا المطعم الشعبي يقع بحي سيدنا الحسين القريب من جامع الأزهر.



منظر عام للأزهر الشريف

بقينا ملتزمين بهذا المطعم بضعة شهور. تحسن دخلنا المادي نسبيا بعد حصولنا على مساعدة (تافهة) من القنصلية الفرنسية بالقاهرة بعد تسوية وضعيتنا الإدارية مبلغ المنحة 2، 5 جنيهان ونصف كل شهر زيادة على ما كان أبي يبعث به إليّ المقدر بـ 15 جنيها كل ثلاثة أشهر عن طريق أحد المصارف بقسنطينة بواسطة إحدى المصارف الفرنسية بالقاهرة، لا تتم هذه العملية إلاّ بعد إجراءات إدارية هي الأخرى معقدة للغاية، لم تدم هذه المساعدة حيث قطعت عند اندلاع الثورة في 1954، لكن سبق لنا عندما تم تسجيلنا بالثانويات أن حصلنا على منحة شهرية من وزارة التربية المصرية المقدرة بـ 05 جنيهات في حين قطعت سفارة فرنسا مساعدتها عن سي محمد بوخروبة بعد أن رفض تلبية دعوتها في الإلتحاق بالجزائر لأداء الخدمة العسكرية عام 1953، أشرت إلى ذلك ضمن هذه العجالة، بعد ذلك أجّر لنا الأخوان محمد خيضر وآيت أحمد بعد تعيين الأول كمدير لمكتب (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) بالقاهرة والثاني كنائب له في خريف عام 1953 وذلك بشارع الجيش عند مدخل العباسية، لم تدم إقامتنا بالسكن الجديد إلاّ شهورا معدودة، إذ أرغمنا الأخوان على إخلاء الشقة وفي مرحلة أخرى أجرّنا غرفة بأول شارع الخليج، ثمن إيجارها 01 جنيها، عدنا للبحث عن مطعم نؤّمن بواسطته وجبتي الأكل اليومية، فوقع اختيارنا طبقا لإمكانياتنا المحدودة على مطعم لا يقدم إلاّ أكلة المدمس أي الفول بميدان العتبة الخضراء يملكه إيراني رجل طيب أصبح يعطف علينا بعد أن عرف أننا طلبة من الجزائر كانت مساعداته محفّزة لنا على مواصلة التحصيل العلمي وإكمال جوانب الضعف لدينا في مواد الرياضيات والعلوم الفيزيائية والعلوم الطبيعية واللغة الإنجليزية، مما فرض علينا المشاركة في الدروس المسائية بمدرسة (الفجالة النهارية الليلية شبه الرسمية) بباب الحديد وكذا مدارس (فاكس)



مسجد القلعة بالقاهرة

كان يكلفنا ذلك نصف ميزانياتنا تقريبا، بعد أحداث شقة شارع الجيش تلك وإخلائها في النهاية (ذكرت ذلك خلال هذه العجالة) استأجرنا بعد ذلك غرفة بشارع علي عبد اللطيف رقم 19 القريب من ميدان لزوغلي المحاذي لحي السيدة زينب بمبلغ 1، 5 جنيها ونصف للشهر، هنا أصبح لزاما علينا أيضا البحث عن مطعم نؤّمن فيه وجبتي الأكل اليومية، صادف أن دلنا أحد الطلبة الليبيين على مطعم شعبي بحي عابدين يملكه أحد الليبيين، رحب بنا صاحب المطعم وفتح لنا مطعمه للأكل (بالكريدي دائما)، استمر ارتباطنا به إلى غاية التحاق سي محمد بوخروبة بأحد أفواج التدريب العسكري بالقاهرة، ولظروف خاصة هجرناه وبقي على ذمتنا لحد الساعة مبلغ 03 جنيهات لم تسدد بعد.

استقبلني سي محمد بوخروبة (العقيد هواري بومدين) وزير الدفاع الوطني بمقر الوزارة القديم في نهاية الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر 1962 حيث استمرت المقابلة قرابة الساعة في دردشة أعدنا خلالها بعض الحوادث الهامة التي حصلت لنا أثناء رحلة الأمل كذا إقامتنا بالقاهرة، ومن بين ما ذكرت له قضية المطعم الليبي بحي عابدين الذي بقي في ذمتنا مبلغ 03 جنيهات (عن طريق الفدلكة) ضحك القائد ضحكة عريضة وهو يضع راحة كف يده اليسرى على فمه على عادته عندما يستغرق في الضحك، طلب مني إن أتيحت لي فرصة زيارة القاهرة أن أقدم للأخ الليبي صاحب المطعم مبلغ 100 دولار بدل 03 جنيهات!.

إنّ هناك نشاطات أخرى قام بها سي محمد بوخروبة في الوسط الشباني، نشاطات ثقافية وعلمية وكذا ما قام به في صفوف الحجّاج الجزائريين القادمين عن طريق البّر المارين بمدينة القاهرة، ثم نشاطه المتواصل داخل صفوف الطلبة عموما حيث عقد صلات مميزة مع الكثير من شباب مصر والعرب والمسلمين النشطين في المجالات القومية والإسلامية عموما، كذا نشاطه داخل صفوف طلبة المغرب العربي بما فيهم طلبة بعثة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة.

الملاحظ هنا أن إيجار غرفة بمدينة القاهرة يومها من طرف الطلبة سهل الحصول عليها دون عناء ذلك لأنّ أغلب المصريين يؤّجرون غرفا بالداخل يشركون الطلبة في استغلال بعض الزائد من الغرف عن الحاجة في الشقة الواحدة بثمن مرتفع إلى حد ما.

كان رفيق دربي سي محمد بوخروبة يحبذ تناول (القشطة) في الصباح و(الرز باللبن) بعد صلاة العصر في أغلب الأوقات بالقاهرة عندما يتوفر لنا ثمن ذلك، وأنه كان لا يرغب في تناول وجبة العشاء غالبا مكتفيا بما ذكرت، ومن المضحك حقا أننا لاحظنا ونحن نمر بإحدى الأحياء الشعبية أنّ محلا لإعداد أكلة (المدمس) الفول يعرض على منصة دكانه كومة من (الطعمية)

أعدت في صورة كرات صغيرة صفراء نتيجة قليها في الزيت زهيدة الثمن مصنوعة من الحمص المرحي، كنا نظن أنها لحم مفروم حمّره صاحبه وعرضه للبيع فاشترينا منها ما زنته كيلوغراما، كنا فرحين بذلك لأننا لم نتناول اللحم منذ مدة طويلة، وبعد وصولنا إلى المنزل استعدادا لتناول وجبة الغذاء مما كنا نظن أنه لحم مفروم في صورة كرات أخذ سي محمد بوخروبة كويرة منها لاختبار طعمها، غير أنه لم يستسغ طعمها فبصقها وهو يقول : «**أعوذ بالله هذا ليس لحما، خدعنا نتيجة جهلنا لهذا النوع من المأكولات الشعبية، غرّنا زهد ثمنها وشجعتنا على ابتياع ذلك رغبتنا في أكل قليل من اللحم الذي لم نتناوله منذ مدة طويلة لقد وقعنا فيما لا نحب يا سي شيروف**» مرة أخرى كنا ضحية جهلنا لفاكهة (الجوافة) شكلها شكل الإجاص رغبنا في ابتياع ما زنته كيلوغراما ونصف بثمن زهيد حيث كانت تعرض على طاولة متحركة لبائع خضروات.

قلت لسي محمد بوخروبة إننا اليوم سنتناول فاكهة طيبة بعد الأكل إن شاء الله طالما كنا نراها بالعين دون أن نتمكن من ابتياعها حفاظا على استقرار الميزانية الشهرية، هذه الثمرة تقف ثابتة في حلق متناولها (الغر) الذي يجهلها، وما كان منا إلا رميها في سلة المهملات لأننا لم نتمكن من تناولها، غرنا شكلها حيث كنا نظن أنها إجاص.

هناك مواقف مضحكة حقا صادفناها في المراحل الأولى من إقامتنا بالقاهرة لا يتسع المقام لتسجيلها، فهي في حاجة إلى كتيب.

رحمك الله أيها القائد الفذ وأسكنك فسيح جنانه

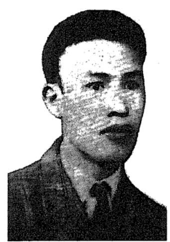
سي محمد بوخروبة الطالب

إنّ الأماني التي كان يعيشها فكريا ويتمنى تحقيقها عمليا وردود فعله عن الأحداث المتعلقة بالثورات التحريرية التي ظهرت في كل من إفريقيا، وآسيا وأمريكا اللاتينية التي رزحت شعوبها تحت الهيمنة الاستعمارية المستغلة ردحا من الزمن، أذاقت الشعوب المغلوبة على أمرها الويلات، إنّ الصحوة الوطنية التي تحركت لدى هذه الشعوب بأن كرامتها مداسة وأن الحياة الاجتماعية بلغت قمة الرذالة كالفقر، والجهل، والمرض، والبطالة وعدم تكافؤ الفرص في الحقوق والواجبات ومصادرة الحريات الفردية والجماعية وحق الإنسان في الحياة الكريمة، كل ذلك صودر من طرف المستعمر فمجموع هذه الآفات الاجتماعية الخطيرة فتكت بحياة السكان الأصليين ولذلك ثارت بعض هذه الشعوب تحت قيادات وطنية شابة ضد المستعمر الدخيل لإخراجه عنوة من البلاد في عدة مناطق من العالم.



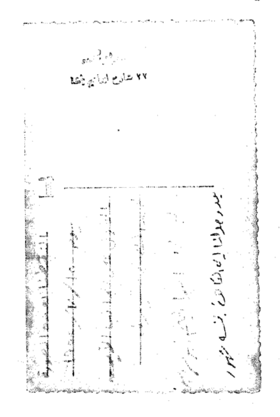
محمد الصالح شيروف ومحمد بوخروبة

إنّ ما كان يعرض دوما من أمهات الكتب بميدان العتبة الخضراء بالقاهرة بأثمان زهيدة للغاية يشجع المجدّين الباحثين عن غذاء الفكر ممن كانت طموحاتهم في مستوى طموح صديقي ورفيق دربي سي محمد بوخروبة.



محمد بوخروبة الطالب بالقاهرة
1953

إنّنا كنا نتردد عليها باستمرار كلما كان في حوزتنا بعض القروش طمعا في أن نعثر على ما يلبي رغبتنا من الكتب الأدبية والتاريخية والاجتماعية والسياسية والعقائدية والاقتصادية لأن حالتنا المالية يومئذ لا تسمح لنا باقتناء كتاب جديد مما كان يعرض على واجهات المكتبات المنتشرة هنا وهناك عبر أنحاء القاهرة وما أكثرها ! لذا كانت المكتبة الشعبية التي يؤمها الضعفاء من مختلف أحياء القاهرة وإنك لواجد كل ما تريده بهذه المكتبة الحائطية التي تضم بين طياتها كتبا تشمل مختلف مناحي الحياة.



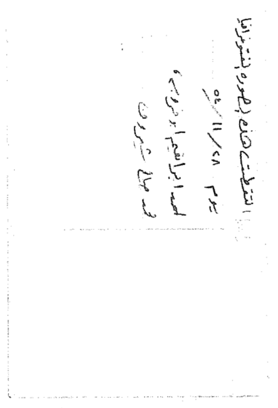
٢٧ شارع ابراهيم باشا

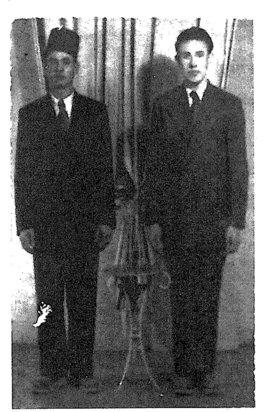


التقطنا هذه الصورة يوم 1952/7/15
فالأول على الجانب الأيمن محمد الصالح شيروف ويليه محمد ابراهيم بوخروبة بعد وصولنا إلى القاهرة بخمسة شهور

إني تحت ضغط تزاحم صور تاريخية عشتها مع رفيق دربي سي محمد بوخروبة وإنصافا للحقيقة التاريخية أقول، إنه كان يميل كل الميل إلى مطالعة كتب التاريخ السياسي منها والعسكري عبر عصور متلاحقة لهذه الأمة المجيدة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العصر الحديث، ولم يكن متحجّرا أبدا، بل كان متفتحا على العالم فهو يحاول التعرف على حياة الأمم الأخرى، لا سيما الراقية منها وكذا حياة الشعوب المستضعفة يساعده في ذلك تمكنه وحذقه للغة الفرنسية حيث كانت البوابة الثانية ينفذ منها ومن خلالها إلى التعرف على حياة المجتمعات الغربية الراقية، بالإضافة إلى ما كان يقدمه أدباء العروبة وعلماؤها من ترجمات لأمهات الكتب الغربية التي كانت تتناول مختلف مجالات الحياة إلى القارئ العربي، فهو يحب القراءة باستمرار، يقضي جلّ وقته منكبا على ما يعرض فيها من سير عظماء التاريخ وأبطال التحرير في العالم مع حرصه الشديد على التحليل لكل ما يقرؤه، كما كان يتابع عن كثب كل ما ينشر باستمرار حول الحركات الثورية والحروب التحريرية في كل من إفريقيا و آسيا وأمريكا الجنوبية بالمجلات والصحف والنشريات اليومية منها الأسبوعية والشهرية بالقاهرة، كان دأبه يوميا حتى أنك لتلاحظ عندما تلقاه يحمل في يده كتابا أو مجلة أو جريدة، فحديقة الأزبكية المحاذية لمكتبتنا الشعبية السالفة الذكر هي القاعة الهادئة المفضلة عندنا نقرأ فيها ما نحب بعد خروجنا من الدروس أو أثناء العطل أو مقهى (الكلوب العصري) القريبة من ضريح سيدنا الحسين أو مقهى تقع في ميدان (لزغلي) القريبة من إقامة الطلبة الشرقيين؛ حيث كنا نتردد على بيت الزملاء مولود قاسم نايت بلقاسم وقاسم زيدون ولخضر عوادي الذين كانوا يقيمون بها آنذاك.

إنه كان لا يرغب أن يشاهد ما يعرض في قاعات السينما إلاّ ما كان يتصل منها اتصالا مباشرا بالنضال ضد الظلم والفساد والاستعمار حيثما كان.





كتب على ظهر الصورة: التقطت هذه الصورة الفوتغرافية يوم 54/11/28 محمد إبراهيم بوخروبة
محمد صالح شيروف

إن تأثره العظيم بما كتبه جمال عبد الناصر يومئذ ونشر في مجلة آخر ساعة حول فلسفة الثورة كان قويا جدا فهو يتابع قراءته الممعتة المحللة لفلسفة الثورة باهتمام بالغ، إني أذكر موقفه ونحن نناقش معطيات فلسفة الثورة بعد الفراغ من قراءتها في إحدى الأمسيات بالمنزل حيث كان يقول وعلامات التأثر بادية على محيّاه: «**عظيم أنت يا عبد الناصر، إنك بحق رجل العصر، وعليك سمات صلاح الدين قاهر قوى الشر والبغي من فلول المتعصبين المسيحيين، إنك تستحق من أمتنا العربية كل تقدير واحترام، ومن الشعب المصري العظيم كل التضحيات ونكران الذات من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية بين ملايين المحرومين من أحفاد المجاهدين الأولين، ملايين الفلاحين الأجراء على أرضهم،**

أرض وادي النيل، أرض الأجداد منذ ألاف السنين حوّلها الدخلاء والعملاء إلى ضيعات خاصة بعد اغتصابها من أصحابها الشرعيين، إن كفاح الشعب المصري بقيادة سعد زغلول ومصطفى كامل قد توج في النهاية بقيادة وطنية ثورية كنت يا عبد الناصر فكرها المدبر»، إنّ اهتمامات سي محمد بوخروبة بالجانب القومي كانت واضحة جدا في كل كتاب وجدته يحمله، فإن تصفحته وجدت بين طياته كل ما يرضي طموح كل ثائر ونقده لواقع الأمة العربية السياسي كان كذلك واضحا، فهو برؤيته البعيدة وتحليله الثوري لمعطيات العصر كان ثائرا دوما حتى تخاله شخصا منعزلا عن أقرانه وأصدقائه لكن إرهاصات وسمات القائد المنتظر كانت هي الأخرى واضحة لمن يمعن فكره في الأشياء ويحلل تطلعات الشاب يومئذ إلى المستقبل بروح وثّابة وعزيمة قوية وإرادة فولاذية لا تقف أمامها الصعوبات ولا تقهرها الأزمات بل تصمد..وتصمد حتى الظفر.

ومؤلفات خالد محمد خالد وساطع الحصري وغيرهما من المفكرين العرب تغذي فيه أفكاره القومية الثورية وتثير في نفسه غضبا أكيدا على الأوضاع التي آلت إليها المجتمعات العربية، ومؤلفات السيد قطب خاصة ما كان يعالج منها العدالة الاجتماعية في الإسلام والمحاضرات التي كانت تلقى بمركز الإخوان المسلمين في الحلمية الجديدة مساء كل ثلاثاء من الأسبوع حتى أصبحت تعرف (بحديث الثلاثاء) وكذا ما كان يحدث بمركز الشبان المسلمين برعاية وقيادة اللواء صالح حرب، كان لكل ذلك أبلغ الأثر في مواقف سي محمد بوخروبة السياسية والعقائدية وتعلقه المستديم بكتب التاريخ العسكري الإسلامي منها والأجنبي، كان ذا أثر عظيم في تكوين هذه الشخصية الفذة التي أثبت التاريخ المعاصر أنه واحد من عظماء العصر الحديث.

والمقالات التي كانت تنشر بالقاهرة يومها على صفحات الجرائد والمجلات والنشريات اليومية منها الأسبوعية والشهرية حول الحركات التحريرية الثورية في العالم الثالث كان يلتهمها التهاما متزايدا ويتطلع إلى ما قدمته شعوب يوغوسلافيا مقدرا الدور البطولي والنضالي لقائد كفاحها المارشال (تيتو)، و(نهرو) الزعيم الهندي كان مثله الأعظم والنموذج الأمثل لما ينبغي أن يكون عليه الوطني المخلص لبلده وللمكافحين الأحرار حيثما وجدوا، ومواقف الأمير عبد الكريم الخطابي في المغرب الأقصى ونضاله وكفاحه ضد المستعمر الغاصب كانت مبدأه وعقيدته السياسية الثورية، وكفاح الأمير عبد القادر في الجزائر مثله الثوري باستمرار، ومقالات الصحفي القدير حسنين هيكل في ملحق الأهرام الأسبوعي عن حرب الفيتنام كانت شغله الشاغل، ما من عدد يصدر فيه مقال لهيكل إلاّ قرأه بكل جدية يصحبه حماس الزعيم والقائد البطل المنتظر لثورة العصر ثورة الجزائر العزيزة، هذه الثورة التي أذكت وشحذت همم أمم العالم الثالث التي رزحت شعوبها عشرات السنين تحت هيمنة المستعمر الغاصب في كل من إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية أو ما يعرف بالعالم الثالث على القيام بثورات تحريرية ضارية مقدمة في سبيل انتصار الحق على الباطل والاستبداد جحافل من أبنائها على مذبح الحرية على غرار ما قدمه شعب الجزائر خلال معركة التحرير العظيمة.


محمد بوخروبة - طالب بالقاهرة 1954

المحور الأول

ففي حديثي عن سبب انتسابنا إلى القسم العام بالأزهر الشريف وحصولنا على منحة شهرية تقدر بـ: 3، 5 جنيهات ونصف نعطي 50 قرشا منها للمكلف بالمناداة ليسجلنا حاضرين، وبعد هذا التجأنا إلى التسجيل في المدارس الليلية للتقوية في مواد الرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية واللغة الإنجليزية، إذ كانت هذه الأخيرة بالنسبة إلينا عقبة يصعب معها الاستمرار في الدروس وذلك نتيجة ضعفنا في هذه المواد التي لم يسبق لنا أن درسناها بعمق ولكي نتمكن من مواصلة دروسنا في الثانويات الرسمية لجأنا إلى استكمال جوانب الضعف بثانوية الفجالة النهارية الليلية شبه الرسمية بباب الحديد. وكان يكلفنا الشهر بها جنيهين كاملين معا. وكان علينا أن نجتهد ونهتم بالدروس لنضمن لأنفسنا مستوى يؤهلنا للمشاركة في الامتحانات العامة بكفاءة ومقدرة علمية معتبرة، فامتزجنا بالطلبة المصريين الطيبين الذين أحبونا كثيرا وكانت علاقاتنا بهم ممتازة جدا.

من هنا أدرك سي محمد بوخروبة أن دوره الطليعي بات مؤكدا في التعريف ببلده الذي كان لا يبرح تفكيره حيثما حل وكان الزملاء المصريون يكثرون من الأسئلة عن الجزائر ولغتها الرسمية ودينها وعاداتها وتقاليدها وقيمها وحضارتها و تراثها، فيؤكد لهم بكل الوسائل بـ: «**أن الشعب الجزائري لم ولن يكون في يوم من الأيام إلاّ عربيا موغلا في العروبة، يربطه بالأشقاء العرب في المشرق المصير الواحد والأماني والتاريخ والحضارة المشتركة، يتطلع إلى اليوم الذي يرتفع فيه صوته عاليا تحت أزيز الطائرات وهدير المدافع وشظايا القنابل، عندها فقط تعرف الجزائر التي استمرت فيها المقاومة المسلحة طيلة**

قرن وربع، تقاوم دون هوادة غلاة الاستعمار البغيض الذي حاول أن يمسخ وجه الجزائر العربية الإسلامية، الجزائر التي كان أسطولها البحري يجبر جل الدول الأوروبية فرنسا.. إنجلترا.. أمريكا.. البرتغال.. بلجيكا وهولندا على دفع اتاوة مالية معتبرة لضمان أمن سفن هذه الدول في عرض البحار، الجزائر التي كانت تمثل أكبر قوة بحرية بلغت 5000 قطعة بحرية تقريبا أما اليوم فأصبحت الجزائر في طي النسيان، إنّ حضارة الجزائر العربية الإسلامية لا تقل في مستواها عن أي بلد عربي في المشرق، وإن الباحث في كتب التاريخ لواجد الأدلة الكافية على ما ذكرت.»،
لم يتوقف لحظة في التعريف بالجزائر، يؤكد للرفاق بالثانوية المذكورة آنفا وفي خارجها كلما تعرفنا على ثلة من الشباب الواعي في أماكن مناسبة كمراكز الشباب: «إن المقاومة لم تتوقف في بلدنا يوما، وإنه في حالة سكوت البارود من فوهات البنادق وصلصلة السيوف، يرتفع صوت الشعب بواسطة مؤسساته الجماهيرية الثورية الممثلة في تنظيماته السياسية وجمعياته الثقافية والدينية عبر التراب الوطني، إنّ قيادة حزب طليعي يضم خيرة شباب الجزائر المثقف الذي استطاع أن يحتوي هذه الشرائح المتعطشة إلى الحرية والاستقلال تؤمن بمبادئ ثورية تتلخص في النضال الثوري المستمر والإعداد لثورة عارمة شعبية تأخذ الاستقلال من قبضة المستعمر المعتدي قصرا، إنّ ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة... إنّ طلائع هذا الحزب الحية تعمل في هدوء في الجزائر وفرنسا نفسها والبلاد

العربية وتحلل الأوضاع السياسية والاجتماعية التي آل إليها شعبنا، وتهيئ الجو السياسي المناسب لإشعال ثورة شعبية تجد من يؤازرها في العالم من محبي الحرية».

إني لا زلت أذكر غيرته المستمرة وثورته وحسرته كلما رأى في سماء القاهرة علم مصر العربية خفّاقا معتزا به متمنيا اليوم الذي يحمل فيه الشعب الجزائري علمه المفدى بسواعد أبنائه خفّاقا هو الآخر تحت سماء وفوق أرض جزائرنا العزيزة، إنه كان يردد دوما القول: «**متى تتحقق أحلام الشعب الجزائري في الاستقلال والحرية ؟ لينعم في ظلها مئات الآلاف، بل الملايين المحرومين من العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص بين أفراده في الحياة الكريمة، إنني يا سي محمد الصالح أشعر في أعماقي بأن أرواح الشهداء وجروح المجاهدين الأوائل ودموع الثكالى والأرامل وأنين الأطفال المشردين وحياة الذّل والمهانة التي عاشها هؤلاء وأولئك تدعو جيلنا أن يفعل شيئا ما تجاه هذه الأمة الصابرة، وإلى متى ونحن ساهون غافلون مقصرون في حق هؤلا وأولئك جميعا؟ إن دور هذا الجيل، جيلنا يا سي محمد الصالح بدا واضحا، وإنّ مهمات وطنية خطيرة تنتظره في الجزائر، لقد انتظرنا طويلا دون أن نحرك ساكنا، إلى متى يا رب**».

لم يقتصر دور المناضل سي محمد بوخروبة على طلبة المؤسسة فقط، بل شمل بعض الأساتذة كذلك فأحبوا فيه أفكاره الوطنية وروحه الثورية المتطلعة إلى أفاق المستقبل، أحبوا فيه بعد الرؤية في القضايا الوطنية والقومية حتى أن أستاذ العلوم الطبيعية (جرجس) الذي كان على ما يبدو من مناقشاته حينئذ

أنه من التقدميين اليساريين يرى في سي محمد بوخروبة الرفيق الجدير بفتح معه موضوعات شتى تمس جميعها الحياة السياسية والاجتماعية منها خاصة في عالمنا العربي. وكان معجبا بتحليلات بوخروبة للأوضاع السياسية السائدة يومها موجها حديثه إلى بوخروبة : أنت يا شاب يا جزائري تبدو عليك سمات العظماء - واللّه - عبر التاريخ رغم أنك لا تزال بعد برعما، أنا معجب بأفكارك الوطنية أيما إعجاب، ونأمل وهذه حقيقة أن يكون لك شأن عظيم في الجزائر ولربما في إفريقيا وآسيا والعالم، هنا تدخلت في الموضوع وقلت: أنت أستاذنا وطبيعي أن تمدح تلامذتك غير أن هناك ملاحظة وددت تسجيلها في هذه المناقشة إننا ننتمي إلى حزب يعدّ طليعيا في شمال إفريقيا، وإن أمال شعب الجزائر معقودة على ديناميكية شبابه وبذل كل غال في سبيل بلوغ الأهداف الكبرى في الحرية والاستقلال والحياة الكريمة، لذا فليس هناك ما يدعو للعجب فيما يقوله سي محمد بوخروبة، تدخل سي محمد مقاطعا إياي في ظرف وقال موجها كلامه إلى الأستاذ جرجس **«إنه لا يوجد بين صفوف حزبنا الثوري من يرى أنه ذات يوم سيصبح زعيم بلده، إذ الكل يطلب التضحية والعمل الدؤوب نضاليا لتحقيق ما تصبوا إليه شعوب العالم المغلوبة على أمرها في الحرية والاستقلال الوطني وإرساء أسس العدالة الاجتماعية في ظل الكرامة وفي مقدمتها شعب الجزائر الذي استمرت مقاومته عشرات السنين دون كلل يطلب حريته في عزة وشموخ».**

المحور الثاني

ليس صدفة أن يكون سي محمد بوخروبة في طليعة طلبة المغرب العربي في مظاهرة عنيفة ضد القنصلية الفرنسية بالقاهرة عام 1953، بل كان العقل المدبر لها مع مجموعة من الشبان الوطنيين الثوريين الجزائريين والتونسيين والمغاربة.

لقد تم انتسابنا إلى القسم العام بالأزهر الشريف عام 1952، ذلك أننا بحكم هذا الانتساب نحصل شهريا على مساعدة تقدر بـ 3، 5 جنيهات ونصف، نسلم منها 50 خمسين قرشا للمكلف بالمناداة كل شهر ليسجلنا حاضرين، ونحتفظ بالباقي، هذا هو المورد المالي الأساسي، ضف إلى ذلك مبلغ 150000 فرنك فرنسي قديما الذي كان أبي يبعث به في كل ثلاثة أشهر عن طريق إحدى مصارف فرنسا بالقاهرة، كنا نصرف المبلغ سويا وكان التحويل لا يتم عن طريق إحدى المصارف بقسنطينة إلاّ بعد أن نقدم شهادة مدرسية إلى القنصلية الفرنسية بالقاهرة لتؤشر عليها تسهيلا لعملية التحويل شرط أن يكون الباعث ولي الأمر، كذا تمارس الديمقراطية الغربية على أبناء الشعوب المغلوبة على أمرها!.

ذكرت أثناء حديثي عن رحلة الأمل من قسنطينة إلى القاهرة أننا لم نحمل معنا جوازي السفر، بل كنا نعتمد أثناء رحلتنا على بطاقتي تعريف رسميتين وبطاقتي تعريف مدرسيتين من المعهد الكتاني، ومن هنا كان لزاما علينا كي نحصل على رخصة الإقامة من مصالح الأمن بالقاهرة أن نبحث عن طريقة نحصل بواسطتها على جوازي السفر من القنصلية الفرنسية بالقاهرة، غير أن هذا يتطلب منا تقديم شهادة مدرسية لكل منّا أولا مع تحرير طلب بهذا المعنى يقدم ذلك إلى قنصلية فرنسا بالقاهرة وهي بدورها ترسلها إلى الجزائر.

حصلنا على كل حال على جوازي السفر وتمت بعد ذلك إجراءات إقامتنا بالقاهرة، وأجرت علينا القنصلية منحة أسوة بالطلبة الذين كانوا ينتمون إلى

ما يسمى بأبناء المستعمرات: ما وراء البحار! لكن مقدار هذه المنحة لا يتجاوز 2، 5 جنيهين ونصف لكن سي بوخروبة كان ثائرا أبدا لا يعبأ بما كانت سفارة فرنسا تسميه مساعدة مهمة لاستكمال أبناء المستعمرات دراساتهم، والجدير بالملاحظة أن هناك نوعان من المنح، أولهما ما ذكرت وثانيهما يتمتع أصحابها بمنح فعلية تتناسب وحياة الترف والنعيم التي يتمتع بها أبناء الأثرياء بمصر إن أصحاب هذه المنح هم أبناء العملاء في مغربنا الكبير، الطابور الخامس.

إنّ سفارة فرنسا كانت تستغل هذه المنحة الأولى، بل اللامنحة في التشدق والدعاية بأنها تحضّر أبناء المستعمرات فكريا وترقيهم حضاريا، لكن العكس هو الذي كان يحدث!.

كان سي محمد بوخروبة واعيا مدركا للدور الذي ينتظره غدا في الجزائر، ربما كان ذلك من باب التمنيات التي كان يتطلع إلى تحقيقها عمليا، إذ كان يقول لي: «**إني إن نسيت فلن أنسى مذابح 08 ماي 1945 في كل من قالمة ووادي الزناتي وعين أعبيد وخراطة وسطيف وغيرها من المدن والقرى والمداشر في ربوع الجزائر العزيزة لقد قدم شعبنا العظيم أثناءها من أبنائه ما يزيد عن 45000 ألف شهيد رويت تربتها الطاهرة بدمائهم الزكية، إننا أبناء شهداء أصلا فكيف يمكن لنا، بل لا يجوز أبدا أن نتصور أن حيلة سفارة فرنسا تنطلي علينا! لا أننسى وتنسى فرنسا أن العداء قائم بيننا ما دام فرنسي واحد تدنس أقدامه رفات عشرات الآلاف من شهدائنا أثناء المقاومة المسلحة منها والسلمية بقيادة الأمير عبد القادر وما يليها؟**».

وفي سنة 1953 لا أذكر الشهر بالضبط، قدّم لي ساعي البريد رسالة في ظرف مغلق لم أفهم مضمونها باسم بوخروبة محمد لأنني لم أجرأ على فتحها، والرفيق كان خارج المنزل لجلب بعض الحاجيات، وعندما دخل قدمت له الرسالة، وأنا أقول له مازحا لعل هذه الرسالة تحمل لنا طيها بشرى سارة، لكن الرفيق كان يقرأ ثم يعيد القراءة و كأنه يبحث في نفس الوقت عن القرار الذي يتحتم عليه أخذه، استدعي آنذاك إلى الالتحاق بالجزائر لأداء الخدمة العسكرية في صفوف جيش الاحتلال، وكان قراره الخطير، الرفض طبعا، كان يتحدث إلي و هو يلاحق بنظراته الثاقبة تلك الورقة التي رماها فوق سريره: **«اسمع يا سي محمد الصالح إن السفارة الفرنسية تطلب مني الاستعداد للرحيل إلى الجزائر لأداء الخدمة العسكرية غريب هذا الذي يحلم به الاستعمار أؤجند لقهر وقتل الأحرار الذين يناضلون نضالا مستميتا ويقدمون ضريبة الحرية في كل من أفريقيا وآسيا!؟، سوف أقاوم ما بقي نفس بين أضلعي وإن دنو أجل الاستعمار لقريب وأن شعوب المغرب العربي ستثور ذات يوم، وليس بالبعيد، سيقذف وبعنف بآخر حذاء لجيوش الاحتلال في عرض البحار، حينئذ تعرف فرنسا، إن شعوب أفريقيا وآسيا قادرة على دحر الاستعمار، وان إرادة الشعوب لا تقهر، هذه سنّة التاريخ لا مرد لها»**، قلت له مخففا عن آلامه: إنّ الشعب الجزائري لا يتصور أنه سينسى دماء شهدائه الذين سقطوا على مذبح الحرية، وأن أبناءه يا سي محمد سوف يثأرون لشهدائهم عاجلا أم آجلا، وأن المقاومة المستمرة منذ أن وطأت أقدام الاستعمار أرض الكنانة سوف تتواصل مهما كان الثمن، وإن ثورة عارمة مدمرة سوف تندلع، هنا ثارت ثائرته وهو يزمجر

فقال: «سوف نكون يا سي محمد الصالح في طليعة النخبة إن حدث ذلك، وإننا لن نبخل بدمائنا من أجل تحرير الجزائر!».

كان رد فعل السفارة يومئذ سحب جواز سفر سي محمد بوخروبة وتنصلت من مسؤوليتها عنه، مع إيقاف مساعدتها المالية التي سبق الحديث عنها، من هنا بدأ الموقف يتعقد لأن قرار السفارة ستنتج عنه مضاعفات تنعكس بالدرجة الأولى على مستقبل تجديد الإقامة بمحافظة أمن القاهرة، وقبل ذلك كانت حركة الطلبة التقدميين الوطنيين المغاربة (تونس، والجزائر والمغرب الأقصى) تنمو وتترعرع في صفوف جل الطلاب، وكان على الطليعة أن تنظم مظاهرة سلمية طلابية شاملة تقريبا ضد قنصلية فرنسا بالقاهرة، تم تحديد اليوم والساعة ومركز التجمع، فوقع الاختيار على ميدان العتبة الخضراء بحيث يكون نقطة الانطلاق تجاه القنصلية الفرنسية العامة، كان سي محمد بوخروبة من المخططين لها نظريا، وفي مقدمة المهاجمين فيها عمليا لكننا لم نتمكن من تطبيق المخطط أمام تحركات رجال الأمن السريعة وفي طليعتهم شرطة الموقع العسكري بالقاهرة، والأمن في القاهرة جد يقظ، وإني أريد أن أشير هنا إلى أن مهمة الحفاظ على الأمن في القاهرة يومها كانت مسندة إلى الشرطة العسكرية بالموقع العسكري لمدينة القاهرة وشرطة مكافحة الشغب حيث لا تسامح مع أي تجمع خارج القانون، لأن مصر تعيش عامها الثاني من ثورة 23 يوليو 52 الخالدة والرجعية لا تزال تتربص بها.

تصدى رجال الأمن للمظاهرة، غير أننا حاولنا أن نصل إلى أهدافنا لكن دون جدوى أمام إصرار رجال الأمن على احتواء المظاهرة بكل الوسائل المتاحة، وقد هشّم بعض زجاج القنصلية خلالها، ووقع رفيق دربي سي محمد بوخروبة في جملة من أُلقي عليهم القبض وسيقوا إلى محافظة الشرطة بشارع عبد العزيز، فأسرعت بعد علمي إلى منزل الأستاذ الشاذلي

المكي ممثل مكتب المغرب العربي بالقاهرة حينئذ فسألني عن المكان الذي سيق إليه المحجوزون، فأخبرته بأنهم في محافظة الشرطة بشارع عبد العزيز، وهو لا يبعد كثيرا عن مقر إقامة الأستاذ، طلب مني أن انتظره قليلا لتغيير ملابسه، ثم اتجهنا بعد ذلك إلى محافظة الشرطة حيث استقبله المحافظ ونفى له بصفة قطعية بأن بوخروبة لم تكن له يد مدبرة، إنما هي الصدفة حيث كان يتجول مع صديق له بالمنطقة لا غير، أثمرت جهوده عند المحاولة على كل حال باقتناع المحافظ و أفرج عن الرفيق بعد نجاح المسعى.

إنّ الحقائق تلّح علي أن أكون موضوعيا في سردها، غير أن هناك منها ما يمكث لبعض الوقت، المهم أن الأستاذ الشاذلي المكي قدم لنا مساعدات جد مهمة كلما ألجأتنا الحاجة إليه خاصة أثناء اتصالاتنا بمصالح الإدارة المصرية، رغم أننا لاحظنا عليه في الأيام الأولى بعد وصولنا إلى القاهرة تحفظا أحيانا، ومع ذلك أقول من باب الاعتراف بالجميل إنه كان يستقبلنا بعد في منزله ومعنا الأخوان مولود قاسم نايت بلقاسم ومدني سليمان الطالبان يومئذ بجامعة القاهرة.

ردود فعل سي محمد بوخروبة بعد هذه الحادثة كانت قوية جدا إذ كثّف نشاطه السياسي في الأوساط الطلابية القاهرية والعربية، يعرّف بالجزائر سياسيا وتاريخيا وحضاريا ونضاليا، إن العامة من أبناء الكنانة في مصر كانوا يجهلون الجزائر، لذا، كنا عرضة لسيل من الأسئلة حول الجزائر كلما جالسنا بعضا من عامة الناس بالقاهرة اتخذ سي محمد بوخروبة من هذه الأسئلة وسيلة للتعريف بالجزائر جغرافيا وتاريخيا وحضريا ونضاليا فهو لا يألو جهدا في التنديد بالاستعمار، وما بذر ويبذره من آفات خطيرة في المجتمع الجزائري منذ أن وطأت أقدامه النجسة أرض الكنانة سنة 1830 كالفقر، والجهل، والمرض والبطالة والعمل الجاد على تأخير الجزائريين فكريا وحضاريا وعزلها عن العالم العربي بصفة نهائية مشيدا بمواقف الثوار الأبطال في مقارعة

الاستعمار الفرنسي الذي يتفوق عليهم عدة وعددا وتكنولوجيا مؤكدا في إسهاب استمرار المقاومة المسلحة مقدمة في سبيل استقلال الجزائر مئات الآلاف من أبناء الجزائر المكافحة على مذبح الحرية من عهد الأمير عبد القادر إلى انتفاضة 08 ماي 1945 حيث دفع الشعب الجزائري أثناءها في بضعة مدن شرق و غرب ووسط البلاد بما لا يقل عن 45000 خمس وأربعين ألف شهيد، وستبقى مدينة قالمة و وادي الزناتي وعين أعبيد وخراطة وسطيف وغيرها من المدن والقرى والمداشر في أعماق الريف الجزائري خالدة خلود أرواح الشهداء شاهدة على همجية ممثلي الثورة الفرنسية من غلاة الاستعمار تحت شعار الحرية، العدالة والمساواة إلى آخر ما هنالك من شعارات جوفاء، في الوقت الذي تنقضّ فيه على أبناء الشعب الجزائري، هذا الشعب الذي ضحّى بخيرة شبابه أثناء الحرب الكونية الثانية مناصرا لطلاب الحرية في باريس بعد أن سقطت بيدي جيوش النازية، فكان جزاء الثكالى و الأرامل اللائي قدمن فلذات أكبادهن وعمد بيوتهن تضامنا مع الشعب الفرنسي الذي وقع تحت هيمنة الجيش النازي الاستعماري، لأن الشعب الجزائري يرفض الظلم والقهر المسلّط على الشعوب المغلوبة على أمرها، كان جزاء الشعب الجزائري بعد الانتصار على الجيوش النازية جزاء سينمار.

المحور الثالث

لم يتوقف نشاط سي محمد بوخروبة على ما ذكرت آنفا، بل شمل أيضا تحركه الدؤوب بين صفوف طلبة البعثة الرسمية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة، التي كان يشرف عليها صقور الجمعية بقيادة الشيخ البشير الإبراهيمي شخصيا، حيث كان مقر إقامته يومئذ بالقاهرة في مطلع الخمسينات، وفّر لأفراد البعثة الإطعام والإقامة بأرقى أحياء القاهرة، و هيأ لهم كل الظروف المناسبة لتلقي العلم في مختلف المعاهد القاهرية، مع الملاحظة أننا لم نكن نحن ضمن أفراد هذه البعثة التي كانت تمونها بعض الأنظمة العربية المتعاطفة مع الشعب الجزائري الذي يرزح تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي بحجة أننا لم نأت عن طريق الجمعية بالجزائر من جهة، ولأننا ننتمي إلى حزب طليعي أعد لمناضليه ومحبيه ومناصريه المعهد الكتاني بقسنطينة الذي أسسته الزاوية الحملاوية، لهذا فقط حرمنا من مساعدة الجمعية حيث كنا في أمسّ الحاجة إلى مساعدتها المادية والمعنوية، من بين صقور الجمعية الشيخ الفضيل الورتيلاني وابن الشيخ الحسين وأحمد بيوض وبوجملين و توفيق المدني، اتصلنا بصفة شخصية بالشيخ البشير الإبراهيمي الذي تحدث إليه سي محمد بوخروبة بحضور الشيخ الفضيل الورتيلاني وأحمد بيوض أحد كوادر حزب البيان، وبوجملين وتوفيق المدني، وغيرهم وحاول أثناءه عن رأيه و ضمنا إلى طلبة البعثة لكنه أصرّ على عدم إلحاقنا بأفراد البعثة، هنا ذكّره سي محمد بوخروبة بجرأة على: «**أننا جزائريون نطلب العلم وكفى والجمعية تزعم أنها تتحدث باسم الثقافة الجزائرية، فكيف نبعد؟**» أجابه الشيخ البشير بعنف : إنكما تنتميان إلى حزب الشيطان فأنتما وحزب الشيطان إلى سقر، عند ذاك انصرفنا من المكتب وعلامات الاكتئاب والحزن والغضب بادية علينا من مثل هذا السلوك الصادر عمن يفترض فيه أنه أبو الثقافة في الجزائر وراعيها.

وفي هذا الوقت، بعد أن علم بعض الطلبة بما حدث إستاؤوا لمثل هذه السلوكات من أولئك الذين يفترض فيهم أنهم قادة العلم والعلماء، ومن بين هؤلاء الطلبة على سبيل المثال لا الحصر الطاهر زعروري، والهادي حمدادو، وعبد الحميد بوذن وغيرهم، إن هذه المجموعة الطلائعية كانت تعطف علينا رافضة مثل هذه السلوكات التي لا تمت إلى قيم الجزائر الحضرية المفعمة بروح الأخوة والتعاون أبدا.

تكررت اللقاءات بيننا حيث كان الحوار مستمرا يدور حول ترقية النضال الطلابي المغربي و ربط علاقات وطنية نضالية وثيقة مع الإخوة طلبة تونس والمغرب الأقصى وتحديد رؤية وطنية ثورية لمجابهة خطط وإستراتجية الاستعمار الفرنسي في الشمال الإفريقي وتفعيل العمل النضالي بالقاهرة، ذلك قبل اندلاع ثورة العصر ثورة غرة نوفمبر 1954 الخالدة، إذ كان الأمير عبد الكريم الخطابي يستقبل هذه النخبة الطلائعية من طلبة المغرب الكبير بالقاهرة ويقدم لها التوجيهات الضرورية لتفعيل العمل الثوري، وقد سبق له أن أرسل بعض الطلبة إلى مدارس عسكرية لدى بعض الدول العربية من بينهم جزائري إلى بغداد وهو الشهيد العجابي من مدينة قالمة، كان الأمير لا يفرق بين الطالب المغربي والجزائري والتونسي، لأن رؤيته كانت مغربية جزائرية تونسية، أي أنه نموذج لما كان ينبغي أن يكون عليه أي ثائر مخلص لوطنه وشعبه، إنّ بوادر وحدة أبناء المغرب العربي الكبير اتضحت أكثر فأكثر في رؤيته البعيدة لنضال أبناء الشمال الإفريقي إذ كان يرى أي نشاط ثوري في أي بقعة من المغرب الكبير هو إضعاف المستعمر الدخيل.

هكذا كانت رؤية الأمير، ولم تقتصر اتصالات النخبة على الأمير وحده، بل كانت تتصل كذلك بالمناضل المغربي علال الفاسي المقيم يومئذ بالقاهرة وكان يزود اللجنة الطلابية ببعض تجاربه كسياسي محترف وكزعيم حزب

يعد طليعيا بالشمال الإفريقي تقابله حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالجزائر والحزب الدستوري بتونس فكان الشاذلي المكي يمثل مكتب المغرب العربي يومئذ بالقاهرة فلجنة الطلبة كانت تعقد لقاءات مع زعماء هذه الحركات الوطنية للاستفادة من خبرتهم النضالية الطويلة، وبالمقابل كانت مجموعة صغيرة مقربة من أصحاب القرار بمكتب الجمعية، وكمثال فقط أذكر منهم: تركي رابح، وشرفي التارزي، ومحي الدين عميمور، والصائم... الخ، وما زال بعض أفراد المجموعتين على قيد الحياة، إنّ هناك أحداث وقعت في القاهرة لم يحن الوقت بعد لتسجيلها، لكني أعترف بأن التاريخ لن يهملها على كل حال، و أن متطلبات إبراز تلك الأحداث لا بد أن تبعث ذات يوم للوجود حب من حب وكره من كره، هي سنة الحياة علينا تقبلها وكفى باعتبارها أحداث وقعت فعلا.

إني أسجل هنا الدور الوطني الذي كان الشاذلي المكي يلعبه داخل دوالب وكوادر مصر، فهو يغتنم أي فرصة تتاح له لشرح مواقف الحركات السياسية والنضالية التي يمارسها مناضلو أبناء الشمال الإفريقي باعتبار أن المستعمر واحد في المنطقة، ونظرا لأنه يعد من المثقفين المناضلين القلائل يتفهم جيدا انشغالات الطلبة المحسوبين على حركة انتصار الحريات الديمقراطية من الجزائريين مع قلتهم يومئذ حيث لا يتعدى عددهم أصابع اليد وعلى رأسهم: مولود قاسم نايت بلقاسم، وقاسم زيدون، والأخضر عوادي، ومدني سليمان، ومحمد بوخروبة، ومحمد الصالح شيروف، وعبد العاطي، ورشيد...الخ ركزت على هؤلاء باعتبارهم الأكثر نشاطا وفاعلية.

إنّ التيار كان لا يمر أبدا بين الشاذلي المكي رئيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة وصقور مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة لاختلاف وجهات النظر ومنهج و برامج و أهداف كل منهما مؤقتا، فالشاذلي المكي

سياسي محترف والصقور علماء في مقدمة اهتماماتهم وانشغالاتهم نشر الثقافة وتطويرها ومحاربة الشعوذة باسم الدين مع أنه بريء من ذلك نهائيا، والحق يقال إن دور الجمعية بالجزائر كان فعّالا في تنوير الشباب وتحصينهم ضد الفرنكوفونيين الذين يعملون جاهدين لدمج الشعب العربي المسلم في الجزائر (بقامير) بحكم ثقافتها المتجذّرة لدى بعض الإستئصاليين الذين لا يزال بعضهم حجر عثرة في طريق تطبيق قانون التعريب الذي وافق عليه المجلس الوطني الشعبي، إنه لا يزال رهن أدراج الفرنكوفونيين، وما إن انطلقت شرارة الثورة حتى كانت مجموعة من طلبة البعثة المذكورة آنفا تسارع إلى الالتحاق بالثورة فمنهم من استشهد في ساحة الوغى ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا - حفظهم الله - وقد كان سي محمد بوخروبة ضمن الطلائع الأولى التي التحقت بالكفاح المسلح بعد أخذ حصة تدريبية عسكرية بالقاهرة، شأنه في ذلك شأن الطلبة الثوريين الذين فضلوا الالتحاق بالثورة على مقاعد الدراسة بالقاهرة وكان دخوله على متن الباخرة (ديانا) المحملة بالسلاح والتي رست بإحدى الموانئ غرب الجزائر، تم التحاقه بالطليعة الثورية بوهران الباهية في مطلع سنة 1955 الولاية الخامسة ضمن تقسيم الجزائر من قبل مجموعة "22" في 25 جوان 1954 إلى نواحي عسكرية قوامها "05" نواحي بعد التحاق ناحية القبائل الكبرى، بدأ جهاده هناك مع بعض رموز الثورة يومئذ.

رحم الله الشهداء الأبرار وأسكنهم فسيح جنانه

المحور الرابع

إنّ نشاط سي بوخروبة الوطني لم يتوقف عند شرائح الطلاب الثانويين والجامعيين والأساتذة والحركة الجمعوية والنوادي الثقافية المنتشرة عبر أحياء القاهرة ودور المكتبات العمومية الجامعية منها والأهلية، لأن رغبته في الحصول على أكبر قدر من العلم والثقافة كانت تدفعه إلى البحث عن ذلك دون ملل، استغل كل ما تحصل عليه من معارف علمية وثقافية وعقائدية وقومية ووطنية في حواراته التي لا تنتهي مع مختلف الشرائح التي يحتك بها في مجالات مختلفة في الوسط القاهري، ولم يبخل بتقديم كل التوجيهات والإرشادات إلى الوافدين من الجزائر أثناء موسم الحج من كل عام، هؤلاء الحجاج الجزائريين القادمين بواسطة الحافلات عبر الطريق البري، يكثّف اتصالاته بهم ويعقد مع جلّهم علاقات حميمية باعتبار أن الوطن واحد وأن معاناة ملايين الجزائريين في ظل الحكم الاستعماري واحدة، فيقدم التوجيهات والإرشادات إلى الحجاج، ويقدم لهم كل ما هو متاح من المساعدات نظرا لأنهم غرباء وعابروا سبيل بالقاهرة، وأن معاملاتهم في هذه الفترة القصيرة مع المجتمع المصري الذي لا يعرفون عنه شيئا معقدة إلى حد ما، خاصة إذا علمنا أن جلّ هؤلاء الحجاج من أعماق الريف الجزائري، يمد لهم يد المساعدة في تبديل ما هم في أمس الحاجة إليه من العملة المصرية، هذه العملة التي لم يسبق لهم أن عرفوها وتعاملوا بها، زيادة على توجيههم إلى زيارة الأماكن الأثرية المصرية منها والإسلامية كالأهرامات وأبو الهول ورمسيس والقناطر الخيرية بواسطة قوارب تجوب مختلف المناطق السياحية عبر نهر النيل العظيم وكذا زيارة المساجد الأثرية بالقاهرة كمسجد عمرو بن

العاص ومسجد السيدة زينب، ومسجد سيدنا الحسين، والجامع الأزهر ومسجد القلعة مع بعض الشروحات الضافية، كما يقودهم إلى أماكن الإقامة المناسبة للتمتع بقسط من الراحة بعد طيهم لآلاف الكيلومترات من الجزائر إلى القاهرة عبر تونس وليبيا، كان يكثر من الاستفسارات حول موضوعات كثيرة متشعبة المشارب قصد الإطلاع على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومدى فعاليات الحركات الوطنية بالجزائر، ويحثهم على التمسك بالثوابت الوطنية كالمحافظة على الوطن واللغة والدين والتاريخ والحضارة وكل القيم في الجزائر العزيزة، إنّ المحافظة على تلك القيم والمقومات الوطنية هي حصانة أبدية لكل أبناء الشعب الجزائري حتى لا يتحلل ويذوب بحكم سياسة الإدماج التي تسعى إليها شرذمة من شذاذ الآفاق للتحكم والسيطرة على مقدرات و مصير شعب الجزائر المجاهدة، ويستمر سي محمد بوخروبة في شحذ همم الحجاج وتحريك وازع الوطنية في أفئدتهم والعمل بعد الرجوع إلى البلد على تحفيز شريحة الشباب على التمسك بالنضال باعتباره الطريق الأوحد والأمثل في استرجاع ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة إنه كان يرسم لهم لوحات زيتية رائعة لمراحل المقاومة البطولية التي قام بها الأجداد والآباء و الأبناء والأحفاد من عهد الأمير عبد القادر حتى انتفاضة 08 ماي 1945 حيث قدم الشعب الجزائري في سبيل الحرية والاستقلال 45000 شهيد على مذبح الحرية يومئذ، وقبلها منذ أن وطأت أقدام الاستعمار النجسة أرض الكنانة، قدّم خلالها ملايين الشهداء منذ عام 1830 إلى 08 ماي 1945.

إنّ دماثة أخلاقه، وحبه للجزائر، وصدقه الدائم مع أصدقائه الذين يثبت عليهم الصدق والوطنية التي لا حدود لها، مع نبل الأخلاق، والعمل الجاد

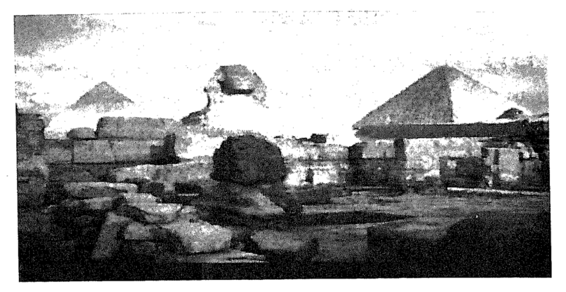
دون هوادة في بناء وحدة عضوية لدى المناضلين المخلصين الذين يقدمون كل غال ونفيس في سبيل أنبل المبادئ الإنسانية المرتبطة أساسا بالحياة الكريمة للفرد والجماعة على حد سواء، جعلته معروفا في الوسط الشباني (بالشاب الجزائري بوخروبة الثائر) وكذا في الوسط الذي نعيش فيه أيضا.

إنّ اجتماع مثل هذه القيم في شخصية سي محمد بوخروبة جعلته محبوبا لدى شرائح كثيرة ممن يختلط بهم في مجالات متعددة يحبون فيه صدق الرؤى فيما يذهب إليه أثناء مناقشاته وحواره في صلب القضايا المصيرية المقترنة أصلا بالمبادئ الثورية المستمرة، إنه كان لا يحب مخالطة أولئك الشبان الذين لا يعنيهم في هذه الحياة سوى المصلحة الذاتية، رغم أنهم لا يزالون بعد في طوز التكوين، لكنهم لا محالة سيؤولون ذات يوم إلى كوادر في بلدانهم، لقد كانت مناقشاته هادئة تعتمد طريقة إقناع الطرف الآخر باستعمال كل الحجج المتاحة لتدعيم ما يذهب إليه من أزاء، كان لا يمارء ولا يحابي أحدا على حساب المبادئ، لكنه يحث كل مخلص على العمل والعمل وحده لصالح المجموع، وينبذ الأفكار التي تتموقع عند المصلحة الذاتية التي تضر مصلحة المجموع في النهاية.

إنّ تلك المبادئ والقيم التي تشبعت بها شخصية الطالب سي محمد بوخروبة جعلت من الزملاء الطلبة العرب والمصريين والإسلاميين يعجبون بأفكاره الثورية، ويحترمونه غاية الاحترام، مما جعل لقاءاتنا بأي شريحة من الشبان وفي أي مركز شباني بالقاهرة مفعمة بالحوار الهادئ المبني على الإقناع المنطقي من جهة، وبقدرة المحاور على استخدام الأرضية المعاشة في ربوع الأوطان الإسلامية والعربية عموما، والقطرية مسقط الرأس خصوصا،

باعتبار أن المحيط والبيئة التي يعيش في أحضانها الإنسان لها تأثير كبير في تنميط الشخصية المستقبلية، فالحجاج الجزائريون أحبوه وطابت نفوسهم إليه نتيجة صدقه وإخلاصه لهم فيما كان يقدمه لهم من توجيهات وإرشادات عند بلوغهم الأرض المقدسة، كان يرفض بطريقة قطعية أي مقابل عن خدماته من طرف حجاجنا الميامين الطيبين، وأن مساعداته واجب تفرضه المواطنة الجزائرية، لكنه كان يطلب منهم الدعاء في رحاب العتبات المقدسة للجزائر الحبيبة ولشعبها المهان في كرامته وعزة نفسه على أيدي الاستعمار الغاشم، والطغمة الفاسدة من شذاذ الأفاق الذين جلبهم الاستعمار قصد الاستيطان في الجزائر التي ناضل رجالها ونساؤها و أبناؤها وبناتها طيلة قرن وربع من أجل رفع الظلم والتعدي والقهر المسلط عليهم باسم مبادئ الديمقراطية الغربية الزائفة، وحقوق الإنسان المهدورة المنتهكة، وحرية الفرد والجماعة المداسة، إنه لوجه أكثر قبحا في المعاملات اليومية على أيدي المتحضرين الغربيين المستعمرين لأبناء الوطن الأصليين!.

شاع صيت شخصية الطالب سي محمد بوخروبة الوطني بالقاهرة لدى حجاجنا الميامين، كانوا يعتبرونه مرشدا متطوعا لا يتحدثون عنه ولا يصفونه إلا بالعالم الشاب المقيم بالقاهرة، يذيعون مواقفه الوطنية والإنسانية لدى الحجاج الجزائريين في الأراضي المقدسة و في الجزائر عند رجوعهم إلى أرض الوطن، بعد تأديتهم فريضة الحج والتمتع بمشاهدة أماكن أثرية بالقاهرة، ينصحون الحجاج القادمين في المستقبل بالاتصال بالمرشد المتطوع الجزائري، الطالب بالقاهرة هذا في كل موسم حج.



أبو الهول يقف شامخا متحديا الزمن بالقاهرة

يكثف سي محمد بوخروبة نشاطه الدؤوب بين صفوف حجاجنا القادمين من مختلف مناطق الجزائر العظيمة الخالدة في كل موسم حج.

رحم الله شهداءها الأبرار، وأسكنهم فسيح جنانه، وحفظ الله ما بقي على وجه الحياة من المجاهدين والمجاهدات، والمناضلين والمناضلات الشرفاء للجزائر العظيمة.

غرة نوفمبر 1954

حماس سي محمد بوخروبة القوي للثورة غداة اندلاعها في غرة نوفمبر 1954، كنا نتردد على الإخوة مولود قاسم نايت بلقاسم وقاسم زيدون، والأخضر عوادي، نحن الثلاث: مدني سليمان ومحمد بوخروبة ومحمد الصالح شيروف بالإقامة الجامعية للطلبة الشرقيين بالقاهرة لنستمع إلى برنامج صوت العرب المستحدث بإذاعة القاهرة بعد ثورة 23 يوليو 1952 المصرية تحت إشراف وإعداد الصحفي القدير الأستاذ أحمد سعيد، هو برنامج يومي يبث في كل مساء من قبل المذيع السالف الذكر، هذا البرنامج موجه أصلا إلى الشعب العربي وخاصة الشباب من المحيط إلى الخليج، استمعنا إلى برنامج الأستاذ بصوت العرب حول أخبار ثورة نوفمبر 1954 بالجزائر عدة مرات بالإضافة إلى ما كانت تسجله بعض الصحف المصرية كالأهرام والجمهورية و الشعب وغيرها من وسائل النشر اليومية، الأسبوعية منها والشهرية حول أحداث الجزائر وبعض أقطار العالم الثالث.

كان رد فعل سي محمد بوخروبة خلال تلك الأسابيع الأولى للثورة قويا، فكثف نشاطه بين صفوف الشباب العربي والمصري على السواء، فهو يحلل معطيات الثورة وتلاحم أبناء الشعب واحتضانهم لها جماهيريا، يؤكد للشباب مواقف : **«الشعب الجزائري الذي لم يخنع ولم ينبطح أبدا ذات يوم أمام القوة الاستعمارية طيلة قرن وربع»** ويؤكد بأن: **«انتفاضات متتالية قام بها الشعب الجزائري خلال تلك الحقبة الاستعمارية، وأن الشعب الجزائري عربي بالأصالة مسلم عن طريق الاقتناع دون نفاق ولا مجاملة»**، يقدم للشباب مثالا حيا لما قدمه مناضلو الجزائر عند فتح بلاد الأندلس، حيث كان قائد الحملة طارق بن زياد

الجزائري وهو دليل عملي على: **«أنّ عروبة الجزائر وعمق إسلامها وصحة عقيدتها وإيمانها بالدين الحنيف يعد ذلك كله ضمن ثوابتها الوطنية، إن إسلامها كان إسلام الموقن العارف بمبادئ العقيدة الربانية، المصدق لرسالة النبوة»** ويؤكد بـ: **«أنّ قرنا وربعا من الاستعمار الأجنبي لم يؤثر في قيم الشعب الجزائري ومقوماته و حضارته العربية الإسلامية طيلة 14 قرنا»**، كان دائما يؤكد بـ: **«أنّ دور الشباب قد حان وأنه ينبغي أن يستغل هذه الفرصة ليناضل من أجل تحقيق ما استشهد من أجله ملايين الشهداء منذ عام 1830، وأن الفرصة قد حانت للانتقام لأولئك الشهداء الذين قدموا حياتهم على مذبح حرية الجزائر»**.

عندما كنا نعود في المساء إلى المنزل نناقش و نحلل معطيات الثورة في ضوء ما كنا نتصوره قبل ذلك، إذ كان يقول لي: **«اسمع يا سي شيروف إنّ أخبار الثورة في الجزائر تجعلنا نحن الشباب نفكر بعمق وجدية فيما يجب أن نتخذه من قرارات مصيرية، فالثورة في أمسّ الحاجة إلى أبنائها خلال هذه المرحلة الدقيقة الصعبة التي يتقرر فيها مصيرها في البقاء والاستمرارية فمشاركتنا هي من أوجب الواجبات، ذلك لأن نخبة الأمة هي جموع الشباب المثقف، لذا فإن التحامنا بالثورة والثوار في الجزائر أمر ذو أهمية في هذه المرحلة الدقيقة من عمر الثورة، ذلك لأن الثورة بطبيعة الحال لها مراحل صعبة يجب اجتيازها بنجاح حتى تقف على قدميها وتثبت وجودها للجزائريين المترددين أولا ثم للعالم بأن هناك ثورة شعب**

يكافح من أجل الحرية والاستقلال، إنه من الواجب يا سي شيروف أن نقوم بدور فعال بين صفوف الشباب العربي والمصري نؤكد لهم جدوى هذه الثورة، القلب النابض لشمال إفريقيا، قد تزيد من رفع معنويات الثوار في الجزائر عندما يعلمون أن العالم العربي تتعاطف شعوبه وتتفاعل مع الثورة، وأن شعوب العالم الثالث سوف تساندنا ولو معنويا على الأقل، إن الجانب السياسي والنفسي لا يقلان أهمية عن الجانب العسكري، بل هما مكملان له، اسمع يا سي شيروف علينا أن نكثف نشاطاتنا خلال هذه المرحلة من حياة ثورة نوفمبر الخالدة، إن إقناع الشباب العربي بالقاهرة أمر ضروري وحيوي بما حدث بالجزائر، إنك تعلم أن معاهد مصر على اختلاف تخصصاتها العلمية تضم الآلاف من طلبة العالم الثالث، وعليه فنحن مؤقتا سفراء ثورة الجزائر دون أن نقدم أوراق اعتمادنا إلى سلطات العالم الثالث، فالثورة هي وثائق الاعتماد لدى هذه الشعوب، أفهمت يا سي شيروف؟ إن نشاطنا لا ينبغي أن يكون منفصلا في هذه المرحلة الدقيقة من حياة الثورة التي لم تتجاوز بعد عدة أسابيع، علينا أن نكثف وننسق اتصالاتنا بطلبة بعثة جمعية العلماء هنا بالقاهرة، إن جلّهم ثوريون أبناء وحفدة شهداء ومجاهدين أصلا. علينا أن نتصل بالأخ الطاهر زعروري وعبد الحميد بودن والهادي حمدادو، إن جلّ أفراد البعثة ثوريون، إن الإخوة زعروري وحمدادو وبوذن يعدون طليعة طلاب البعثة العلمية لجمعية العلماء، هؤلاء المناضلون سوف يلبون لا محالة نداء

ثورة الجزائر وسوف يدعمونها بكل الوسائل المتاحة بما فيها التضحية بالنفس، وحتى المترددين من طلبة البعثة قد يقتنعون لاحقا بنجاعة الثورة ولزوميتها ودور الشباب المثقف فيها والدور الوطني الذي يجب على هذه النخبة أن تقوم به هنا وهناك يا سي شيروف!».

كان سي محمد بوخروبة يقول لي يومها: «**لقد تنبّأنا يا سي شيروف بحدوث هذه الثورة عند حوارنا مع الإخوة الطلبة العرب والمصريين في مقاعد الدراسة و دور الثقافة وأكدنا لهم دائما بأن الجزائر عاشت انتفاضات عديدة متصلة الحلقات منذ عام 1830 يوم أن وطأت أقدام علوج الاستعمار النجسة أرض الكنانة، إن ظنّنا لم يخب، وأن الثورية المتأصلة في شعبنا لن تخذلنا أبدا، ونحن عند حسن ظن شعبنا المكافح، إني قلت لك أكثر من مرة أننا سوف نكون ضمن الطليعة الثورية إذا قامت انتفاضة بالجزائر، وها هي الرؤيا تحدث وتتحقق، فماذا ننتظر بعد؟ علينا أن نحسم موقفا ثابتا تجاه هذه الثورة المباركة كما حسمنا الموقف بخصوص رحلتنا من قسنطينة إلى القاهرة عام 1951، فلتكن هذه المرة يا سي شيروف من القاهرة إلى الجزائر وأن تكون إرادتنا أصلب عود من ذي قبل وإيماننا بالثورة أكثر ألف مرة من إيماننا برحلتنا التاريخية من قسنطينة إلى القاهرة للأخذ عن علمائها العلم والمعرفة والثقافة ونيل شهادة الليسانس من معاهدها الجامعية، لقد تحملنا في سبيل ذلك أعظم المخاطر، أتذكر رحلة الأمل تلك يا سي شيروف عندما**

عقدنا العهد على صخور قسنطينة العظيمة في تلك الأمسية التاريخية من خريف عام 1951، هذه اللحظة التي ستبقى مسجلة في ذاكرتنا ما حيينا، وما تحملنا في سبيل الوفاء بالعهد ذاك! لم ولن تمحى من ذاكرتي تلك الصور التي حدثت لنا أثناء تلك الرحلة التي دامت ثلاثة أشهر ونيف، قطعنا خلالها قرابة 4500 كيلومترا راجلين من قسنطينة إلى القاهرة، إنّ تلك الأحداث لم ولن تزول من ذاكرتي يا سي شيروف قمنا برحلة في سبيل التحصيل العلمي، فلتكن رحلتنا الثانية في سبيل الجزائر من القاهرة إلى الجزائر ولو كانت وتكون هذه المرة زحفا على بطوننا، ليس ذلك بالكثير على جزائرنا العزيزة».

هذا هو الطالب سي محمد بوخروبة الوطني الثوري الذي آمن بقضية الجزائر العادلة، كان دوما يعيش للجزائر العزيزة، يناضل وهو شاب لم يتجاوز سنه بعد الثالث عشر ربيعا بمدينة قالمة، استمر نضاله الثوري منذ ذلك الحين من 08 ماي 1945 إلى 27 ديسمبر 1978، عاش ثوريا من أجل استقلال الجزائر، واستشهد كذلك من أجل بناء دولة الجزائر المستقلة بناءا قويا أبديا، فشيد مؤسساتها الدستورية التي تجعل منها دولة مرموقة لدى دول العالم، وقد حدث ذلك فعلا طيلة عهدته الرئاسية، فكان الجزائري يفخر بانتسابه للجزائر حيث ما حل عبر ربوع العالم.

ولم يتوقف نشاط الشاب سي محمد بوخروبة السياسي منذ أن وطأت أقدامه أرض الكنانة، مصر العروبة، يعرّف بالجزائر تاريخيا وحضاريا وعسكريا: **«كان للجزائر أسطول بحري يفوق عدد سفنه 5000**

وحدة تجوب البحار تدفع له الإتاوات من قبل جلّ دول أوروبا وفي مقدمتها فرنسا وكذا أمريكا مقابل تأمين سلامة سفن هذه الدول التي تعمل في نطاق التبادل التجاري الدولي، هذه إحدى صور الجزائر العظيمة فكيف يتصور بأن الشعب الجزائري سيتوقف عن الكفاح المسلح لاسترجاع هيبة دولة الجزائر عبر التاريخ، إن شعوبا كثيرة قدمت الغالي والنفيس في سبيل الاستقلال لكن تضحيات الشعب الجزائري فاقت ما قدمته شعوب أخرى، إن الكفاح والنضال المسلح عبر ربوع الوطن لم ينقطع بل كانت حلقاته متواصلة منذ عهود سحيقة، هذا هو شعب غرة نوفمبر 1954 أيها الرفقاء، إنه امتداد لانتفاضات متصلة الحلقات منذ فجر التاريخ».

كذا كان يحاور زملاءه في الدراسة وعناصر واعية بالمنظمات الجماهيرية كان الشاب سي محمد بوخروبة يعيش ويحيا للجزائر وللجزائر وحدها دون سواها، كان دائما يتحدث عن حسن التنظيم وضبط وسائل النضال الثوري في أطر ثابتة ضمن مقاييس محددة علميا كي تصل الشعوب إلى تحقيق أمنيتها في الحرية والاستقلال والعزة والكرامة والحياة الكريمة كبقية الشعوب الحرة، هنا وهناك على ظهر اليابسة.

هذه هي طريقته وأسلوبه في العمل الثوري من أجل بلوغ الأهداف الكبرى في الحرية والاستقلال وبناء دولة قوية تكون في مستوى التضحيات الجسام التي قدمها ويقدمها شعب الجزائر خلال وجوده على هذه البقعة من الكرة الأرضية (بناء دولة قوية لا تزول بزوال الرجال).

رحمك الله أيها القائد الفذ ابن الجزائر البار

حماسه لثورة غرة نوفمبر 1954

إنّ حماس سي محمد بوخروبة المقيم بالقاهرة كطالب يومئذ لقيام الثورة المباركة كان قويا جدا، إنّ نشاطه الوطني منذ أن حللنا بالقاهرة في 15 فيفري 1952 لم ينقطع ولم يخفت لحظة، كان رحمه الله يعيش ويحيا للجزائر دون سواها وإن اتصالاته بمختلف المنظمات الطلابية والشبانية على مستوى الثانويات والمعاهد الجامعية القاهرية وكذا المراكز الثقافية منها والإعلامية المنتشرة هنا وهناك عبر أحياء القاهرة،كانت هذه الاتصالات ذات فعالية خاصة بعد اندلاع الثورة حيث أصبحت مناقشاته وتحاليله في الوسط الشباني القاهري مدّعمة عمليا بعد اندلاع ثورة نوفمبر 1954، فهو يحاور ويحلل معطيات الثورة من واقع أصبح معاشا يوميا على صفحات النشريات اليومية منها والأسبوعية وكذا الشهرية بمدينة القاهرة وتدعم كذلك بما كانت تبثه الوسائل السمعية بأصوات الشبان المصريين ذوي الكفاءات والمقدرة الفنية العالية في المجال الإعلامي بإذاعة القاهرة،كما دأبت الأقلام الشابة المصرية في ضوء توجيهات مجلس قيادة الثورة عام 1952 الوطنية المصرية، تحل كلماتها محل القذائف الذكية والصواريخ الموجهة إلى عقول الشباب العربي من المحيط إلى الخليج عبر وسائل الإعلام فتثير فيهم النخوة القومية وتؤجج فيهم الروح الوطنية عبر الأقاليم العربية، هي نتيجة طبيعية لتوجه ثورة مصر التي آلت على نفسها منذ اللحظة الأولى لها بعث الروح القومية لدى الشباب العربي حيثما وجد، خاصة الفئة المثقفة منه لإدراكها العميق بأن الثورات لا يخطط لها إلاّ المثقفين الواعين داخل أقطارهم حيث يعملون على تنظيم الوطنيين بطريقة علمية محكمة تضمن نسبة عالية لإنجاح العمل الثوري.

كان الطالب سي محمد بوخروبة يؤكد بـ: **«أن الاستقلال يجب أن ينتزع بالقوة، لأن ما أخذ بالقوة يجب أن يسترد بالقوة»**، كان ينتقد العمل السياسي الإحترافي لأنه لا يفضي في أغلب الأحوال إلى قيام ثورة مسلحة، لذلك كان لا يعبأ بتصرفات أولئك الزعماء السياسيين الإحترافيين باعتبار أن ذلك لا يؤدي إلى العمل الثوري العنيف: **«فالاستعمار لا يعترف إلاّ بالعنف المضاد»** من هنا بدأ يعمل قبل و أثناء الثورة وفجر الاستقلال على تنظيم صفوف القوة الثورية،كان يمجّ أسلوب السياسيين الإحترافيين، و ينبذ السير فُي خطاهم المبنية أساسا على الديماغوجية السياسوية ولغة الخشب، هذا هو أسلوب الطالب الثائر سي محمد بوخروبة قائد ثورتي التحرير والاستقلال منذ 15 فيفري 1955 إلى 27 ديسمبر 1978 وما حدث في 19 جوان 1965 يعد تصحيحا ثوريا، وليس انقلابا عسكريا 19 جوان 1965 هو امتداد طبيعي لأسلوبه الثوري في الحقل الوطني إذ كان لا يؤمن ببناء الشخصية على حساب مكتسبات ثورة نوفمبر 1954 الخالدة.

إنّ الطالب سي محمد بوخروبة كان وطنيا حتى النخاع نمّت فيه هذه الروح مراحل حياته كشاب ذاق ويلات الاستعمار وهو لم يتجاوز بعد الثالث عشر ربيعا بمدينة قالمة المناضلة منذ أن وطأت أقدام الاستعمار النجسة أرض الكنانة عام 1830 وما تلا ذلك من أحداث وطنية دامية قدّم خلالها شعبنا أغلى التضحيات معارضا بذلك الوجود الأجنبي أبدا على أرضه الطاهرة، ضف إلى ذلك سلوكات المعمرين شذاذ الآفاق الذين استحوذوا على الثروات الطبيعية الجزائرية الهائلة في الوقت الذي كان الشعب الجزائري يعيش عيشة ضنكة مهانة تتنافى وكرامة الإنسان في الحياة الكريمة فوق أرضه البكر المعطاء، وأضحى يتخبط وسط آفات اجتماعية قاسية أحاطت به من

كل الجهات كالمرض، والفقر، والجهل، والبطالة، والتأخر الاقتصادي، مع أن الجزائر غنية بثرواتها الطبيعية وخصب تربتها كان المعمرون شذاذ الآفاق يستحوذون على كل ذلك، إن الشعب الجزائري تحمل كل مساوئ الحياة في ظل التسلط الاستعماري الغاشم، لذلك كانت ثورته الوطنية في مستوى طموحاته في أن يحيا حياة كريمة كبقية شعوب العالم المستقلة التي آمنت بالعمل الثوري العنيف ضد الدخيل الأجنبي الذي عاث في الأرض فسادا هنا وهناك ينهب خيرات وثروات الشعوب المستضعفة واهما إياها بالازدهار الاقتصادي والاجتماعي والحياة الكريمة وترقية أبناء المستعمرات اجتماعيا وحضاريا وعلميا والقضاء على الأمية بصفة نهائية، غير أنه عمل بكل الوسائل المتاحة عكس ذلك تماما.

إنّ الاستعمار والنهوض الاقتصادي والتطور الاجتماعي لصالح أبناء المستعمرات ضدان لا يجتمعان أبدا لأن الاستراتيجية الاستعمارية مبنية أساسا على نهب ثروات الشعوب المستضعفة، هذا ما أكده تاريخ الاستعمار منذ عهود سحيقة هنا وهناك، فليخسأ الدخيل الأجنبي وعلوجه المنتشرون عبر إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية لقد استيقظ المارد الجبار فهز أركان الاستعمار في كل مكان وطأت أقدام علوجه، دحر الاستعمار في كل مكان استطاع أن ينهب فيه ثروات الشعوب.

إنّ الطالب سي محمد بوخروبة اعتبر لغزا لدى بعض الدارسين والباحثين لسيرته الذاتية نتيجة إهمالهم لأغلب جوانب حياة القائد منذ نعومة أظفاره، سواء عن جهل أم عن قصد، لغزا في تصور بعض من اعتبروا أنفسهم أصدقاء له من الناحية الشكلية المبنية على الرؤية الذاتية النفعية الانتهازية، فهو تصور ساذج مصلحي لا غير أعتبر لغزا في تصور بعض من عمل معه أثناء الثورة

المسلحة الذين كانوا ينتهزون كل الفرص لبلوغ أهدافهم بواسطة التزلّف والنفاق والانتهازية استغلالا للمراحل الصعبة التي عاشتها الجزائر أثناء الثورة وخلال المرحلة الأولى للاستقلال، إنهم أخطر من (الحركة)، ما إن استشهد القائد حتى طفا الخفافيش في صورة رجال الثورة الأشاوس عجبا، نسي هؤلاء وأولئك القائد إنهم كانوا ظلا له، لغزا في تصور بعض الإعلاميين الأجانب، لأنهم لم يعرفوا ولم يحاولوا التعرف على حياة القائد منذ بلوغه الثالث عشر ربيعا ولم يرصدوا نشاطاته طيلة مسيرته النضالية حتى تكون تحليلاتهم وأحكامهم علمية دقيقة، قد يكون ذلك عن جهل، وقد يكون عن قصد، إن الطالب سي محمد بوخروبة القائد الثوري كانت له رؤية بعيدة تجاه الوطن والمواطن وهو طالب، وهو جندي، وهو قائد لجيش التحرير، وهو وزير للدفاع الوطني، وهو نائب رئيس الحكومة وهو رئيس مجلس الثورة وهو رئيس للجمهورية، نعم إن العمل الجاد المبني على الدراسة العلمية الدقيقة من ذوي الاختصاص، ذلك من ميزاته كرجل دولة كان يؤمن بصدق عمل العناصر الثورية في بناء صرح الدولة الجزائرية بالتعاون والتكامل والإخلاص و التفاني في سبيل بناء صرح الجمهورية الجزائرية فيما بينهم، لأنهم الأجدر في صنع التاريخ، وبناء دولة قوية عصرية لا تزول بزوال الرجال.

إنّ أسلوبه في العمل الثوري يختلف كلية عن أسلوب السياسة الإحترافية فهو لا يؤمن إلاّ بالعمل الثوري الذي يتناقض و الديماغوجية والشعبوية ولغة الخشب، فهو كالمهندس لا يقدم على إنجاز أي مشروع إلاّ بعد إجراء دراسة مستفيضة من قبل ذوي الاختصاص، تحدد معالم أي مشروع يريد إنجازه لصالح المجتمع الجزائري الذي قدم الكثير من أجل انتزاع حريته واستقلاله، لذا فهو لغز بالنسبة إلى مرتزقة السياسة الاحترافية الارتجالية، من هنا اعتبر لغزا

لدى الكثيرين رحمك الله أيها القائد الفذ، والجندي الشجاع قدمت كل شيء في سبيل الجزائر فأحبك شعبك وآمن بقيادتك الرشيدة والحكم الراشد.

كان الطالب سي محمد بوخروبة يعمل و ينشط مدة إقامته بالقاهرة من أجل إبراز صورة واضحة للنضال في الجزائر طيلة قرن وربع، جثت فيه القوة الاستعمارية على صدر شعب عاهد اللّه والوطن ألا يتوقف عن العمل الثوري وتقديم القرابين على مذبح الحرية من خيرة شبابه في سبيل انتزاع حرية الجزائر الغالية العزيزة استمرت المقاومة بعنف منذ عهد الأمير عبد القادر إلى انتفاضة 08 ماي 1945 فقدم الشعب الجزائري بسخاء خيرة أبنائه كعربون للحرية والاستقلال وأكمل مشوار الثوار الوطنيين حتى غرة نوفمبر 19د4 حيث انطلقت الشرارة الأولى لثورة العصر بالجزائر هذه الثورة التي رفعت الشعب الجزائري إلى أعلى مستويات الثورية وأرقى أساليب النضال المستميت المنظم على أحدث الأساليب الناجعة في النضال الوطني، إنها شحذت بعملها الذؤوب همم أبناء إفريقيا وآسيا و أمريكا الجنوبية، حيث قالت الشعوب للمستعمر: إرحل عنا وإلا جرّعناك الحنظل، فاخسأ أيها الدخيل الاستعماري، إننا تأكدنا مما خططه صقوركم لاستغلال خيرات هذه الشعوب، إرحل عنا قبل أن يحل عليك غضبنا أيها الجبان، رحمك الله أيها القائد الفذ والجندي الشجاع رمز الوطنية، قدمت كل غال ونفيس في سبيل عزة الجزائر، فأحبك شعبك وآمن بقيادتك الثورية الوطنية الرشيدة.

أصبح الحلم حقيقة

إنّ ما كان يتطلع إلى تحقيقه سي محمد بوخروبة قبل ذلك من حلم، قد أصبح حقيقة معاشة بعد الفاتح نوفمبر 1954، حيث علمنا بواسطة النشريات المصرية اليومية منها والأسبوعية باندلاع ثورة الجزائر، وكذا وسائل الإعلام المسموعة، كانت هذه النشريات تعبر يومئذ عن المواقف الثورية لبعض شعوب العالم الثالث التي لا تزال بعد ترزح تحت سيطرة الاستعمار، فثورة 23 يوليو 1952 المصرية فسحت المجال على مصراعيه أمام الأقلام الشابة للتعبير عما يختلج في صدور الملايين من سكان إفريقيا وأسيا وأمريكا الجنوبية.

تحرك المارد الجبار بالأوراس الأشم وجرجرة والطاسيلي طلبا للحرية والاستقلال والعيش الكريم في ظل احترام المبادئ الإنسانية في الحرية والحياة سريمة والتمتع بخيرات البلاد وثرواته الهائلة من قبل المواطنين، هذه الثروات الطبيعية التي يتوفر عليها الوطن المفدى، إنّ الفقر والجهل و المرض والبطالة وكافة الآفات الاجتماعية قد سلطّت على رقاب أبناء الوطن المقهورين المغلوبين على أمرهم والمهانين في كرامتهم على أيدي المستغلين الاستعماريين من شذاذ الآفاق الذين خططّ لهم صقور الاستعمار لاستغلال خيرات الجزائر العزيزة التي أرهقت الآفات الاجتماعية شعبها و نخرت عظامه إلى حد خطورة بعض الأوبئة الفتّاكة التي أمست بعض مناطق الوطن في فترات متباينة في مجتمعنا معرضة لها، كان ضحيتها آلاف المواطنين الأبرياء.

إنّ برنامج الأستاذ أحمد سعيد الصحفي القدير الذي كان يشرف على ركن صوت العرب بإذاعة القاهرة أحدث دويا عبر الوطن العربي الكبير، حيث كان جلّ الشباب يهتم أيما اهتمام بمتابعة هذا البرنامج الثوري القومي الذي كان يخاطب الشباب العربي الثوري و يدفعه إلى مواصلة النضال ضد

الرجعية والغاصبين المحتلين، إنّ الرجعية والاستعمار تحكما في أرزاق السواد الأعظم من أبناء الشعب العربي الأبي.

إنّ فترة الخمسينيات مليئة بأخبار الحركات الثورية لا في العالم العربي وحسب، بل شملت العالم الثالث عموما وإفريقيا خصوصا، إن اندلاع ثورة نوفمبر 1954 بالجزائر بقيادة رموز ثورتها الأبطال الذين آلوا على أنفسهم محاربة ومقاومة المستعمر الدخيل الذي نهب وينهب ثروات الوطن في الوقت الذي يعاني مواطنوه متاعب الحياة و ضنك العيش و الحرمان، هذه الصورة التي شملت مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية منها والاقتصادية والسياسية، ضف إلى ذلك محاصرة الحرية والتضييق على المواطنين في شتى مجالات الحياة المختلفة، حرموا من أبسط حقوق الإنسان المنصوص عليها في القوانين الدولية واتفاقيات جنيف لضمان حقوق الإنسان في الحياة الكريمة وعدم المساس بكرامته كإنسان في الحرب والسلم سواء.

وبعد أن أعلنت الثورة في الجزائر ازداد حماس الشباب الجزائري الذي كان يتابع دراسته في مختلف المعاهد الأوروبية عموما والشرق العربي ومغربه خصوصا، بدأ الشباب في الخارج يفكر بجد في الطريقة التي يشارك بها في الثورة المباركة، أقدم الكثير منهم على ترك مقاعد الدراسة بالمعاهد العلمية غربا وشرقا مفضلين العمل الثوري في صفوف الثوار عنها، ظهرت توقفات الطلبة عن الدراسة هنا وهناك بدافع الحماس الوطني لمشاركة الإخوة في النضال ضد المستعمر الغاصب الذي حاول بكل الوسائل طمس مقومات الشعب منذ أن وطأت أقدامه أرض الكنانة عام 1830.

إنّ الطالب سي محمد بوخروبة ابتهج للأخبار التي تتحدث عن قيام الثورة بالجزائر أيما ابتهاج، هذه الثورة التي كانت تمثل الحلم الوطني الذي كان يسعى إلى تحقيقه منذ نعومة أظفاره، حلم شغله منذ انتفاضة 08 ماي 1945 حيث

قدمت الجزائر على مذبح الحرية يومها 45000 ألف شهيد من أعز أبنائها، ولم ينس أبدا شهداء هذا اليوم الأغر في حياة الشعب الجزائري المناضل، شرع الطالب سي محمد بوخروبة يبحث و يسجل بكل قوة المسيرة النضالية للشعب الجزائري منذ دخول الاستعمار أرض الكنانة عام 1830 إلى أول نوفمبر 1954، فهو يؤكد أثناء المناقشات والحوار المتواصل على دور الشباب في العالم الثالث وفي الجزائر خاصة، يحصي الأسباب الإيجابية لتلك الانتفاضات المتواصلة هنا وهناك، ويحاول في نفس الوقت تسجيل الأسباب السلبية لها، إنها نضالات متصلة حلقاتها منذ كفاح الأمير عبد القادر إلى انتفاضة 08 ماي 1945 فغرة نوفمبر 1954 هكذا كان سي محمد بوخروبة يتفاعل مع الثورة المباركة حاثا كل الزملاء المقيمين بالقاهرة على التفكير بجد في الكيفية التي تمكنهم من الالتحام بالثوار في الجزائر. شرع الطالب سي محمد بوخروبة في الاتصال هو وزملاء آخرون بالأخ أحمد بن بلة وغيره ممن كانوا يمثلون الحركة الثورية في الجزائر بالقاهرة، فبن بلة كان رئيسا للمكتب العسكري للثورة بالقاهرة، حيث كان يضطلع بمهمة الاتصال بالسلطات المصرية المدنية منها والعسكرية لفسح المجال أمام الشباب الجزائري في نيل حصص تدريبية على السلاح تحت إشراف خبراء عسكريين مصريين والتحكم في تقنيات حرب العصابات. بدأت الأفواج من الطلبة المقيمين بالقاهرة و غيرها من الغواصم العربية والأوروبية تسجل للتطوع في الثورة ضمن إخوانهم في الجزائر حيث فضلوا هجر وترك مقاعد الدراسة بالثانويات والمعاهد الجامعية والتوجه إلى تسجيل أسمائهم ضمن الأفواج التي تتدرب عسكريا على أيدي عسكريين مصريين. فأمدوا الشباب بكل التقنيات والمعلومات العسكرية في إطار حرب العصابات الثورية.

كان الطالب سي محمد بوخروبة ضمن إحدى الأفواج التي حان وقت التحاقها بإحدى مراكز التدريب العسكري السرية، إذ كان من المستحيل

تعرف أي زميل على مكان الفوج الذي يتدرب ضمنه زميله، هو ذاك من أسرار نجاح الثورة المباركة، فالسرية مبدأ مقدس في الثورة، إذن تم تدريب الطالب سي محمد بوخروبة على أيدي خبراء عسكريين مصريين على تقنيات حرب العصابات و حسن التنظيم داخل صفوف الوحدات القتالية، بعد انتهاء الفترة التدريبية أختير للقيام بمهمات ثورية سرية بالقاهرة لفترة ما حتى حان وقت الرحيل من القاهرة إلى الجزائر، كان دخوله إلى الجزائر عبر الحدود المغربية الجزائرية حيث بدأ نشاطه العسكري بالولاية الخامسة وهران الباهية ومن بين أساليب الثورة حفاظا على أسر المجاهدين، أضطر أغلبية الثوريين إلى استعارة أسماء ثورية لهم حتى لا يلحق أهلهم الأذى من قبل الاستعمار الفرنسي،كان اسم سي محمد بوخروبة الثوري (هواري بومدين) وقد احتفظ بهذا الاسم الثوري حتى بعد الاستقلال.

لقد كان سي محمد بوخروبة منذ انتفاضة الشعب الجزائري في 08 ماي 1945 يعشق الجزائر الحبيبة حتى النخاع كان والله من بين الثوريين الجزائريين الذين لا يفكرون إلاّ في النهوض بالجزائر والوصول بها إلى مصاف الدول المتقدمة المتطورة وذلك بواسطة العمل الدؤوب من قبل الثوريين الذين آمنوا بالجزائر كقضية وطنية عادلة لا ينبغي التفريط في المكتسبات التي حققتها وتحققها الثورة في الحرية والاستقلال،كان يؤكد باستمرار بـ: «**أن الثورة ستحتضنها الطبقة الكادحة من فلاحين أجراء وعمال بسطاء ورعاة تكفل ويتكفل الريف الجزائري باحتضان كل الانتفاضات الشعبية ومساندة الثوار، قدّم وسيقدم لهم كل المساعدات المتاحة وغير المتاحة وسيقدم كل غال ونفيس، سوف يتقبل أي إنتقام يقوم به المستعمر ستدمر قراه وتحرق مداشره، ستهدّم أكواخه ويزج**

بآلاف من أبناء الشعب في غياهب سجون العدو، سينال منهم التعذيب بأحدث الأساليب الاستعمارية المنافية للأخلاق مما تقشعر منه النفوس البشرية وتخجل منه الإنسانية في مختلف بقاع العالم، إنّ البطش وأساليب التعذيب المستحدثة التي طبقها وسيطبقها الاستعمار لاحقا إنتقاما من ثورة الشعب الجزائري، لقد عرفت وحشية رجال المخابرات قبل فكيف بها الآن فصاعدا، إنه سوف ينّكل بالرجال والنساء والأطفال مما يتعارض مع أبسط حقوق الإنسان وكرامته، لكن هذه هي ديمقراطية الغرب الاستعماري، وهذه هي مبادئ الحرية والأخوة والمساواة في نظر الاستعماريين، هذه هي المبادئ التي كان يستعملها الاستعمار كذبا وتضليلا لشعبه لتبرير للاستحواذ على غيره من الشعوب المستضعفة، إنّ الحرية والديمقراطية لا يتمتع بهما إلا مواطنوه فقط، ولا يتمتع بحلاوتهما سواهم من سكان المستعمرات».

والجدير بالملاحظة هنا إنّ مراكز التدريب العسكري المشار إليها آنفا والتي كان الجزائريون يمارسون فيها تدريباتهم على أساليب حرب العصابات على أيدي الخبراء العسكريين المصريين بالقاهرة بقيت هذه المراكز مجهولة على طريق الثورة المعهودة لا يعرفها سوى المعنيين بالثورة من حيث التنظيم والإمداد بالسلاح والرجال لتدعيم الثوار داخل الجزائر، ولا تزال هذه المواقع مجهولة لحد الساعة لدى الكثيرين من المهتمين بأخبار الثورة الكبرى، ثورة غرة نوفمبر 1954.

رحمك الله أيها الشهيد البطل.

شقة شارع الجيش بالقاهرة

من بين المواقف التي لا تزال صوّرها راسخة في ذهني رغم مرور حوالي نصف قرن على حدوثها بمدينة القاهرة، إنّ حب التسلط و قهر الآخرين خلافا لما كان يعلن عنه في الظاهر من خلال إطلاق شعارات مزيفة القصد منها تضليل المحيط مع سبق الإصرار، حيث مورس علينا فعلا نحن طلبة الحزب من طرف أناس لنا الفضل عليهم حيث كان لنا موقف ثابت نضاليا مشرفا للحزب أثناء الاجتماع الذي عقد بالقاهرة في الثلث الأخير من عام 1953 لإطارات الحزب بالقاهرة بعد أحداث المؤتمر الاستثنائي الأخير للحزب والذي حضره يومها من الإطارات: حسين لحول، وأحمد مزغنة، وأحمد بودة، ومن مناضلي الحزب المقيمين بالقاهرة آنذاك محمد خيضر، وآيت أحمد ومحمد اليزيد، ومن الطلبة المناضلين في صفوف الحزب : مولود قاسم نايت بلقاسم، وقاسم زيدون، ولخضر عوادي، ومدني سليمان ومحمد بوخروبة، ومحمد الصالح شيروف، اتخذ قرار بالإجماع في نهاية اللقاء بعزل الشاذلي المكي كمدير للمكتب وعين محمد خيضر بدله وآيت أحمد نائبا له، وقد وعدنا خيضر قبل الإجتماع نحن الأربعة بوخروبة وشيروف، وعبد العاطي، ورشيد، في حالة تعيينه على رأس المكتب بتأجير شقة لنا، نفذّ بعد ذلك خيضر وعده وأجرّ لنا شقة بشارع الجيش عند مدخل العباسية بالقاهرة فأضحت إقامتنا مريحة للغاية لكن هذا الاستقرار لم يدم طويلا إذ بعد إقامتنا بالسكن الجديد نحو 06 أشهر طلب منا الأخوان خيضر وآيت أحمد إخلاء السكن، قبل هذا كنا على اتصال بالشاذلي المكي الذي كان قبل عزله من ألدّ أعداء الشيخ البشير الإبراهيمي فأصبح اليوم صديقا حميما له طبقا للمقولة (عدو عدوي صديقي)، ذهبت مع سي بوخروبة لزيارة الشيخ البشير بمكتبه

بعد أن أصبح الشاذلي المكي يقضي جلّ وقته بعد عزله من منصبه، فالتقينا بهما معا و عرضنا عليهما قضية إيجار شقة لنا من طرف محمد خيضر و آيت أحمد فأشارا علينا بأن تكتب الشقة باسم المكتب هو أفضل لنا، كتبت الشقة إذن باسم المكتب فعلا لكن بعد انقضاء الأشهر الست 06 فوجئنا بطلب خيضر وآيت بإخلاء الشقة فطلبنا منهما أسباب لجوئهما إلى اتخاذ مثل هذا القرار المضر بنا ونحن نعيش حالة من العوز، لكنهما أصرا على إخلاء السكن وكفى! تأزم الموقف بيننا وقررنا عدم إخلاء السكن مهما كلفنا ذلك، لجأنا إلى استشارة الشاذلي المكي والشيخ البشير الإبراهيمي فأشارا علينا أولا بعدم الخروج بسهولة وثانيا إعداد تقرير بمساعدة الشاذلي المكي يرسل إلى مكتب الجامعة العربية بالقاهرة ونسخة منه إلى مجلس الثورة المصري.

إنّ التقرير المرسل إلى كل من مكتب الجامعة ومجلس الثورة موثّق في أرشيف كلتا المؤسستين وإن الباحث إن أراد التأكد من ذلك عليه بالتوجه إلى مقر المؤسستين المذكورتين آنفا فسيجد التقرير موثّق في أرشيفهما دون شك.

ولما يئس الرجلان من إقناعنا بالخروج من الشقة سلميا فكرا في خيارات أخرى من بينها العنف، إن محمد خيضر معروف عنه ميله إلى العنف دوما لبلوغ وتحقيق ما يصبو إليه لما كان يناضل في الجزائر معروف عنه أسلوب العنف المتوحش الذي قد يكون مقبولا ضد المستعمر، لكنه ليس مقبولا في حالات أخرى.

كنا جالسين في إحدى الأمسيات بالمنزل نراجع الدروس وإذا بالباب يدق بعنف، فأسرع سي عبد العاطي لفتح الباب واستطلاع الخبر، كان ذلك قبل صلاة المغرب بقليل و إذا بالطارق هو محمد خيضر ومعه آيت أحمد، فدخلا دون طلب إذن ودون سلام فاندهشنا أولا لزيارتهما المفاجئة لأول مرة، طلب سي محمد بوخروبة منهما الجلوس بعد الترحيب بهما، غير أن

محمد خيضر بادرنا بالشتم وعدم الانضباط ومحاولة إحداث ما لا ينبغي أن يحدث زيادة عن إحداث شوشرة! كانت تبدو عليه حالة هستيرية و أيت أحمد صامت لا يتحدث و كأنه في غيبوبة، حينئذ، ردّ عليه بوخروبة و هو في حالة غضب: «**أيّ سلوك هذا يا سي محمد وأنت ضيف عندنا لأول مرة؟**» أجابه أيت أحمد: عليكم بجمع أدواتكم وأمتعتكم استعدادا لإخلاء الشقة حالا! قبل أن يتطور الموقف إلى ما لا تحمد عقباه حالا قوموا واستعدوا للخروج أجابه سي بوخروبة: «**أي منطق هذا الذي تستعملانه نكثتما العهد في أمور أخرى فسكتنا فلم يبق لكما إلاّ تشريدنا عبر شوارع القاهرة، ماذا جرى يا ترى؟**» ثم تدخلت بينهما وطالبت من آيت أحمد التريث وعدم التسرع خاصة في موضوع مصيري كهذا فاتخذا ما تريانه مناسبا لحل هذه الإشكالية دون تهور، أثناء ذلك تدخل محمد خيضر بالضرب فردّ عليه عبد العاطي (بدبزتين) على البطن ثم بوخروبة و مسكت أنا بتلابيب أيت أحمد وتبادلنا الضرب بالأيدي ثم توجه إليه بوخروبة فلكمه (بأكثر من دبزة) وهو في حالة غضب موجها كلامه لخيضر وأيت: «**أتريدان إهانتنا وتمريغ كرامتنا وتشريدنا عبر شوارع القاهرة دون أدنى سبب وجيه يلزمكما إتخاذ موقف عدائي منا، لماذا ؟ولمصلحة من يا ترى؟ فنحن طلبة مناضلون في صفوف الحزب الذي يفترض فيه حمايتنا ونحن نقيم هنا في ديار الغربة**».

المهم أن الموقف كاد أن يفلت بعد محاولة محمد خيضر استخدام السلاح الأبيض ضدنا، لكن لحسن الحظ أنه لم يحدث جرح خطير بين الطرفين وهددّ بوخروبة باستخدام (القرمة)، خرج الرجلان بعد ذلك خائبين و هما يتوعدان باتخاذ أقصى الإجراءات الردعية عند الساعة الحادية عشر ليلا.

ذهبت بصحبة سي محمد بوخروبة في صباح اليوم التالي إلى مكتب الشيخ البشير الإبراهيمي فوجدنا بمعيته الشاذلي المكي فأحطناهما بما حدث ليلة الأمس بيننا و بين محمد خيضر و آيت أحمد عندئذ نصحنا الشيخ البشير الذي كان يحاول باستمرار إضافة البنزين إلى النار بخصوص ما حدث تشفيًا ونكاية في الحزب لا حبًا في مساعدتنا، لكنه انتقاما ضد الحزب المنافس له، لقد حدث قبل هذا عدم تفاهمنا حينما رفض ضمنا إلى أفراد البعثة العلمية.

لم ينس الشيخ أنه يستقبل من تجرأ بالأمس القريب عندما أثير موضوع ضمنا إلى طلبة البعثة، وتحدث إليه بلغة من له حق التمدرس كمواطن جزائري، إن الشيخ همه رسم صورة قبيحة لتصرفات بعض مسؤولي الحزب، إذ أنه لا بديل عن جمعية العلماء وأنّ جلّ كوادر حزب الشعب صعاليك لا ينبغي أن يثق الشعب فيهم فاقترح علينا على كل حال إحدى الخيارين أحلاهما مرّ، حلّ المعضلة بالتراضي فيسلم لنا محمد خيضر وآيت أحمد مبلغ ألفي جنيه مصري مقابل إخلائنا الشقة، وهو يعلم أن خيضر لم ولن يقبل بهذا الحل المفروض عليه من جهة أو الاستمرار في التعنت مما قد يؤدي في النهاية إلى نتائج لا يحمد عقباها من جهة ثانية، ولا سيما أنّ الثورة المصرية تعيش عامها الثاني وأن أيّ قلاقل غير مقبولة.

عرضنا المبلغ المقترح حيث كنا مضطرين إلى ذلك على الوسيط يومئذ، لكن محمد خيضر رفض العرض جملة و تفصيلا في المراحل الأولى غير أنه قبل دفع مبلغ 1000 جنيه مصري لاحقا وصلنا إلى حل نهائي للقضية رضي به الطرفان مقابل إخلاء الشقة سوّي الموضوع على هذا الأساس، إني لست متأكدا فيما إذا كان أيت أحمد على علم بالصفقة أم لا؟.

إن استخدام القوة والعنف ليس له مبرر خاصة ضد مناضلين في الحزب، شبان يتابعون الدراسة خارج الوطن و في ظروف مادية جدّ قاسية، إنّ جذور الخلاف بين محمد خيضر وآيت أحمد من جهة، و سي بوخروبة من جهة ثانية بالقاهرة، لم يكن عقائديا ولا نظاميا، بل كان إرهابا وتسلطا وحقرة من طرف خيضر وآيت و نحن طلبة ضعاف لا حول لنا ولا قوة، لقد جاء في الأمثال (ضربة الفأس تبرى وضربة اللسان ما تبراش)، وقد ذكرت أمام السيد هواري بومدين وزير الدفاع بمقر الوزارة القديم بعض هذه الصور عند زيارتي الأولى له بعد تعيينه كنائب لرئيس الحكومة خاصة أحداث شقة شارع الجيش بالقاهرة فقال لي يومها وهو يبتسم : **«اسمع يا سي شيروف ما ينفع إلاّ الصّح، ومن بنى قصرا قاعدته تبنا لا بد أن ينهار عند أبسط هزة أرضية، وما بني على الباطل فهو باطل، إنّ التاريخ لا يرحم، لقد قيل التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، أفهمت يا سي شيروف؟!»**.

رحم الله الشهداء الأبرار وأسكنهم فسيح جنانه

كنت أظن أنك طلبت مقابلتي للثأر

حدث شجار باليد في رحاب الأزهر الشريف بين سي محمد بوخروبة وسي عمر، هو من مواطني دلس على ما أظن، عصبي المزاج، سلوكه تجاه الآخرين يتصف بالعنف، فهو لم يعر أيّ اهتمام للشخص الذي يثيره، وفي أي مكان، إنّ الشيخ عمر هذا يعدّ ضمن الطلبة المتازين في الدروس، رغم أنّه لا يرى إلا بعين واحدة لأنّ الثانية انتزعت منه لسبب أجهله، ثقافة عربية جيدة جدا، متمكن من اللغة العربية، إلمام بالقضايا الفقهية بالغ الأهمية، لكنه منطوي على نفسه، علاقات اجتماعية جدّ محدودة، يصعب انقياده، لا يقبل المهاوكة، هو ضمن طلبة البعوث الإسلامية بالقسم العام، تشاجر مع سي محمد بوخروبة في وسط صحن الأزهر و تضاربا باستعمال الأيدي، لكن الطلبة المتواجدين بعين المكان حالوا بينهما، حيث توقف الشجار وعادت المياه إلى مجاريها، حاول سي محمد بوخروبة الاعتذار و طلب العفو من سي عمر لكنه رفض الاعتذار لأنّه اعتبر سي محمد بوخروبة هو المعتدي، كذا تصوّر.

استقلت الجزائر في عام 1962 وعين سي محمد بوخروبة وزيرا للدفاع الوطني فنائب رئيس الحكومة لاحقا فرئيس مجلس الثورة في 19 جوان 1965 وخلال شهر مارس من سنة 1967 التمس سي عمر مقابلة سي محمد بوخروبة (هواري بومدين) وافق السيد الرئيس على الطلب وأرسل إليه ليحضر إلى مقر الرئاسة حضر سي عمر فاستقبله الرئيس استقبال الأخ لأخيه، جلس سي عمر على إحدى الأرائك على مضض، (سأله الرئيس عن حاجته) ما كان من الشيخ عمر إلاّ أن طلب من السّيد الرئيس منحه سكنا اجتماعيا، ضحك السّيد الرئيس لطلب الشيخ وقال له مازحا: «**هذه حاجتك يا الشيخ عمر! إنّ السكن حق من حقوقك يا أخي، إني كنت أظن يا الشيخ عمر أنك طلبت مقابلتي بقصد ثأرك مني عمّا حدث في عام 1953 بصحن الأزهر الشريف، يا الشيخ عمر اطمئن فحاجتك مقضية بإذن اللّه وفي أقرب الآجال**».

هذا ما حدّثني به السيد الرئيس عندما استقبلني خلال الأسبوع الأخير من شهر أفريل 1967 بالرئاسة عن أثر تلك الزيارة التي تركت أثرا طيبا في نفس السيد الرئيس، إننا كنّا كلّما التقينا إلاّ وأثرنا بعض الذّكريات التي لم تفارق بعد ذاكرتنا رغم ضيق وقت الرئيس وثقل المسؤولية التي تحتّم عليه العمل لساعات طويلة نتيجة تراكم المشاكل الوطنية والالتزامات الكثيرة التي تنتظره كرئيس دولة تجاه الوطن والمواطن، إنّ ظروف المرحلة التاريخية التي وصل أثناءها السيد الرئيس لقيادة الجزائر كانت جدّ صعبة و معقّدة، هناك مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية صعّبت مهمّة تسيير هياكل الدولة مع انعدام الكفاءات لدى أغلب المواطنين، هذا كله جعل مهمة الرئيس صعبة للغاية، ومع ذلك أزعم أن مرحلة قيادته للجزائر كانت من أزهى فترات الحكم في الجزائر رغم النقائص الملحوظة بخصوص الكفاءات البشرية في التسيير، إنّي لست بصدد تسجيل مفاخر الرئيس الراحل و إنجازاته التي لا تحصى، أفضل أن أترك ذلك إلى رفقاء المرحلة الذين كانوا لا شيء وبتقربهم من القائد أصبحوا شيئا يذكر مع أنّ الأغلبية الساحقة منهم تنكرت للرّجل بعد استشهاده إنّ الصفة الانتهازية التي ظهرت بعد استشهاده على سلوك أولئك الذين كانت سحابته تقيهم من المطر، وبرنوسه يقيهم من البرد القارص أيها المنافقون، الانتهازيون اخرجوا من جلودكم، إنّ الشعب الذي أحبّ القائد وناصره في كل مواقفه الوطنية، قد اكتشف حقيقتكم أيها المنافقون الانتهازيون النفعيون، اخسؤوا، وضعوا جلد الكلاب على وجوهكم، كنتم تقطنون في أكواخ حقيرة فأصبحتم بفضله تقيمون في أرقى الفيلات بأحياء الجزائر الراقية، كنتم خدمة أنتم أو أبائكم للمعمرين فأصبحتم أسيادا، بفضل مليون ونصف من الشهداء، كنتم حفاة عراة، فأصبحتم تتنعمون في أبهى الحلل، كنتم تمطون أحمرة دون سروج فأصبحتم تركبون أجود وأفخم السيارات الأجنبية ذات الصالونات الجلدية الفاخرة.

صيد الغزال

في إحدى زيارات الرئيس هواري بومدين إلى مدينة الأغواط لتفقد بعض المشاريع العمرانية وتدشين البعض الأخر منها وبرمجة مشاريع عمرانية أخرى من قبل سيادته والوفد المرافق له حظي الوفد الرئاسي باستقبال رائع حيث شاركت فيه مختلف الشرائح في الترحيب بقدوم سيادته من شباب وعمال وفلاحين ومعلمين وتلاميذ وأولياء وكشافة ومجاهدين وأبناء الشهداء، فالأسرة الثورية خصوصا كانت في مقدمة المستقبلين،كان اليوم عظيما حيث لبست فيه مدينة الأغواط حلة جديدة، إنه عرس وطني عرضت خلاله مختلف الفنون الفلكلورية التي تتميز بها المنطقة ابتهاجا بهذه الزيارة الميمونة ما من حي مرّ به الوفد الرئاسي إلا وتدافعت فيه الجماهير الغفيرة كالأمواج لرؤيته وتحيته، جموع مكتظة بالأنهج التي مرّ بها، ورود وأزهار مختلفة الألوان تنثر من على شرفات المنازل على موكب الرئيس مع زغاريد لا تنقطع حلقاتها، هنا وهناك، عبر الأنهج التي سلكها الموكب.

درست من قبل الرئيس والوفد المرافق له كل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لتطوير المنطقة مع السلطات المحلية، لم يعق نشاط الرئيس المكثّف الاستفسار عن بعض رفقاء مقاعد الدراسة بالمنطقة في ديار الغربة بالقاهرة، طلب سيادته من السلطات المحلية البحث عن الأخ ع.ع الذي يقيم بالمدينة وإحضاره إلى مقر إقامة سيادته، جيء به حيث استقبله بالترحاب وعلامة الرضا بادية على محيّاه، أجلسه بجانبه لبعض الوقت حيث تحدث إليه حديث الأخ مع أخيه، مستفسرا عن أحواله، ومختلف جوانب حياته مطمئنا إياه **«إنّي سأتكفل بتوفير ما تحتاجه»**، لكن الأخ ع.ع كان يهوى صيد الغزال مع أن إمكانياته المادية المعدومة لا تسمح له بتحقيق ذلك

بالصحراء الشاسعة المترامية الأطراف، لذلك كانت مجمل طلباته من السيد الرئيس تلبية بعض الاحتياجات الضرورية لصيد الغزال ضحك السيد الرئيس وهو يداعبه :«**أتحب الصيد إلى هذا الحد يا أخي ؟**» فأجاب الأخ ع.ع نعم، لكن الإمكانيات المادية معدومة كلية وأنا في أمس الحاجة إلى إجازة صيد وسيارة من نوع (أندورفار) مع ضمان تموينها وتوفير الوسائل الأخرى اللازمة للصيد لمواصلة هوايتي، ابتسم الرئيس وهو يوجه حديثه إلى الأخ ع.ع: «**أهاذا الذي تلتمس مني توفيره لك يا أخي؟**» أجاب الأخ ع.ع نعم ثم رد عليه السيد الرئيس: «**إني أتكفل بكل احتياجاتك في هذا المجال وأن جميع التكاليف أضمنها لك و إنّ السلطات المحلية تتكفل بالأكل الشرب والإقامة أثناء ذلك داخل الجزائر وخارجها أيرضيك هذا يا أخي؟**» أجاب الأخ ع.ع نعم يا سيدي الرئيس هذا من كرمكم ودماثة أخلاقكم، أنتم سيدي الرئيس كريم ابن كريم.

هذه صورة من عدة صور كثيرة تدل على دماثة أخلاقه إنه والحق يقال لا يزال يذكر زملاء مقاعد الدراسة هنا بقسنطينة وهناك بديار الغربة في القاهرة.

كان القائد لا يبخل زملاء الدراسة كلما أتيحت له فرصة استقبالهم والتحدث إليهم وإعادة بعض صور أحداث مرت أثناء الدراسة، إنه كان ميالا إلى استعادة بعض المشاهد الطريفة أثناء الدراسة هنا بقسنطينة وفي ديار الغربة بالقاهرة.

الأب الصديق المجاهد علي مقاري

بعد أن استقر بنا المقام بالقاهرة عام 1952 تعرفنا على الأخ علي مقاري الذي كان ضمن الإخوة الثوريين :كريم بلقاسم وأوعمران وغيرهما من ناحية القبائل الكبرى ممن وصفهم الاستعمار الفرنسي عام 1945 في وطنهم الجزائر بالخارجين عن القانون، فهو من قرية (مقارة) بالقبائل الكبرى التي عرف مواطنوها بالنضال الوطني من أجل تحرير الجزائر، الأخ علي مقاري في العقد الخامس من عمره عندما كان يقيم بالقاهرة إنه ضمن السواد الأعظم من أبناء الجزائر الحبيبة الذين ابتلعتهم الأمية في ظل ممثلي الثورة الفرنسية بالجزائر لقد حاول الاستعمار البغيض بكل الوسائل المتاحة جعل الجزائر قطعة فرنسية، لكن حلمه في سبيل تحقيق ذلك تبخّر أمام نضال الشعب وتمسكه بالمقومات الوطنية حيث قدم في سبيل ذلك ملايين الشهداء منذ أن وطأت أقدامه النّجسة أرض الكنانة عام 1830.

مهنته معاون بنّاء بمدينة القاهرة ضمن قطاع السّكن مرتبه الشهري جد ضعيف، لكنه كان كريما له علاقات طيبة بالطلبة الجزائريين خاصة المنتمين إلى (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) أحبّنا وقربنا منه فأصبح أبا وصديقا لنا، كنا نلتقي مساء كل يوم وكذا يومي الخميس والجمعة بمقهى (الكلوب العصري) بحي سيدنا الحسين، كان يكرمنا في حدود إمكانياته المادية المحدودة،توثّقت علاقتنا به طيلة إقامتنا بالقاهرة.

الأخ علي مقاري كثوري انضم إلى أفواج الطلبة الذين هاجروا مقاعد الدراسة وفضلوا الالتحاق بالثورة المباركة عام 1954 حظي بفترة تدريبية على استخدام السلاح وتقنيات حرب العصابات على أيدي خبراء عسكريين مصريين، انتهت فترة التدريب العسكري وحان وقت رحيل، فوجه إلى الجزائر للانضمام إلى الثوار بالولاية الخامسة، ومن الصدف الجميلة أنه دخل إلى الجزائر عن طريق المغرب والتحق بالثوار بالولاية الخامسة وهران الباهية، حيث كان سي

محمد بوخروبة (هواري بومدين) ضمن قادتها لاحقا، استمرت الثورة على النحو الذي عرفناه، حلّ 05 جويلية 1962 الأغر فدخل القادة والمناضلون إلى الأرض الطيبة بعد أن حرّرت على أيدي أبطال غرة نوفمبر 1954.

في سنة 1974 عيّنت ناظرا لثانوية العقيد سي الحواس بمدينة الأخضرية، كان الأخ مقاري على رأس مكتب منظمة المجاهدين على مستوى دائرة الأخضرية (ولاية البويرة حاليا)، اتصل بي عندما علم أنني أعمل بالثانوية، دعاني إلى مأدبة غداء بمنزله رحب بي أيما ترحاب فأحسست بدفء عاطفة الأب الصديق الوفي، تعددت لقاءاتنا بعد ذلك، مرة بمنزله وأخرى بمنزلي، قصّ عليّ ذات يوم حكايته مع رئيس الدائرة في مطلع الاستقلال.

كان الأخ مقاري يملك سيارة بعث بها إليه صهره من فرنسا بقي ترقيمها فرنسيا، طلب رئيس الدائرة من الأخ مقاري تغيير ترقيم سيارته بحجة أن المواطنين تحدثوا كثيرا عن ذلك، قبل الأخ مقاري هذه الملاحظة المشروطة بتغيير رئيس الدائرة ترقيمه (إن زوجة رئيس الدائرة كانت ولا تزال فرنسية الجنسية)، أولا ثم يطلب من غيره ذلك (يعني تغيير جنسية زوجته).

قام الأخ الرئيس بزيارة لمدينة الأخضرية لتدشين بعض المرافق الاجتماعية والاقتصادية والتربوية بها في الوقت الذي كان الأخ المجاهد علي مقاري يومئذ على رأس مكتب منظمة المجاهدين بالمدينة هذا المجاهد الذي سبق له أن شملنا بعطفه الأبوي أثناء إقامتنا بالقاهرة ومدّنا ببعض المساعدات التي كنّا في أمسّ الحاجة إليها، فهو ثوري مخلص وطني حتى النخاع، طيّب السريرة، يتعاطف مع الثوريين وخاصة الطلبة، كريم صادق الأخوّة، شاءت الأقدار أن تجمعنا هذه الزيارة نحن الثلاث، الرئيس، ومقاري والمتحدث، لأول مرّة على أرض الجزائر العزيزة في مدينة الثوار التي قارع مواطنوها الوجود الإستعماري ردحا من الزمان، مدينة الأخضرية، كان لقاؤنا بها مفعم بالحب والوفاء حيث عشنا لحظات سعيدة بصحبة الرئيس رغم أنّها لم تدم

أكثر من دقائق معدودة الحصة التي اقتنصناها من وقت القائد خلال زيارته الخاطفة إلى المدينة، فالدردشة انصّبت في مجموعها حول تلكم الذكريات الحبيبة عندما كنّا نقيم بمدينة القاهرة سويا بالأحياء الشعبية المحيطة بجامع الأزهر الشريف وضريح سيدنا الحسين المقام بمسجده في أعرق أحد أحياء القاهرة القديمة بمحاذاة الأزهر الشريف شمال شارع المعز لدين اللّه الفاطمي.

إنّ الوطنية الصادقة التي جمعت حولها مناضلي جزائر الثورة طيلة قرن وربع لا يزال صداها قائما أبدا حيث كانت تضحيات الثوار النموذج الذي اقتدت به شعوب إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية في كفاحها المستميت ضد الدخيل الأجنبي.

إنّ ثورة الجزائر أضاءت الطريق أمام تلك الشعوب التي عانت الكثير على أيدي الاستعمار الذي عاث على أرض هذه الشعوب فسادا فدّمر حياتها وسلب منها معطيات الحياة الكريمة.

إنّ الأخ المجاهد علي مقاري يعد نموذجا حيا في الوطنية الصادقة حري بالجيل الجديد للاقتداء به وطنيا، كافح الاستعمار وخرج عن طاعته ليرتمي في أحضان الجزائر الثائرة الماجدة، نضال امتدّ على مدى 125 سنة لم يهدأ فيه الشعب الجزائري لحظة، نضال في حلقات متصلة، تضحيات جسام قدمها ثوار الجزائر من أجل الحرية والكرامة والعزة ، اعتبر الاستعمار النخبة الوطنية التي رفضت العيش في كنف الدخيل عام 1945 بالخارجين عن القانون في منطقة القبائل الحبيبة ضمن هذه النخبة التي يمثلها آنئذن المجاهدون كريم بلقاسم وأوعمران ومقاري وغيرهم، إنّهم صمدوا على مواصلة النضال مهما كلفهم ذلك، وها نحن نحتفل بعيد النصر والشهيد يوم 19 مارس 1962 من كل، عام إن هذا اليوم الأغر يعد من أعظم أيام جزائر الثورة، قدم الشعب الجزائري من أجل تحقيقه ملايين الشهداء منذ أن وطأت أقدام الاستعمار النجسة أرض الوطن المفدى عام 1830 ... رحم اللّه الشهداء.

هل مات بومدين أم قتل؟


الرئيس هواري بومدين أثناء مقاومته مرضه سنة 1978

كنت أتعرض إلى سيل من الأسئلة والاستفسارات من قبل المجموعات الشبانية كلما أتيحت لي فرصة الالتقاء بهم في المناسبات الشبانية، وخاصة ملتقيات هواري بومدين التي ينظمها الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية كل عام، منذ 1990 بمدينة سطيف المناضلة حيث كسّرت الشبيبة جدار الصمت المضروب على حياة الراحل فأصبحت هذه الملتقيات سنّة تعقد في الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر كل عام في إحدى ولايات الجمهورية بالتناوب، وكذا محاصرتي من قبل محبي الرئيس الراحل، بحكم أني كنت رفيق دربه منذ عام 1947 إلى غاية استشهاده خلال الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر 1978 الجميع يسأل عن سرّ استشهاد القائد الراحل، هل مات ؟ أم قتل؟ ونظرا إلى أنني لم تتوفر لدي معلومات دقيقة يقينية عن استشهاده كنت أحاول بلباقة صرف أنظار المستفسرين عن ذلك بإثارة موضوعات

أخرى تتصل بسيرة الطالب سي محمد بوخروبة (الراحل هواري بومدين) قبل اندلاع الثورة المباركة عام 1954 يوم أن كان طالبا بقسنطينة فالقاهرة، إني سأسوغ للقارئ رسائل مشفرة ثلاثا:

أولاها:

موت (عنتر)، لقد كان الرئيس الراحل هواري بومدين يرعى كلبين بمنزله المتواضع ولعنتر وهو أحدهما حظوة خاصة ومكانة متميزة لدى الرئيس، حيث كان عنتر يحب الرئيس حبا جما، يختلف اختلافا جوهريا عن حب بعض بني آدم الموصوفين دوما، بالنفاق والتملق و الانتهازية، يلهثون وراء المناصب السامية في الدولة يتظاهرون بحبهم للرئيس الراحل والجزائر، وقد أثبتت الأيام نذالة هؤلاء الذين كانوا عبارة عن ظل للرئيس لا غير، تلك المناصب السامية التي فرضتها ظروف مرحلة البناء التي شرع فيها الرئيس منذ 19 جوان 1965، إنّ نتيجة حبّ عنتر للرئيس تظهر جليا في انتظار عودته من العمل بفارغ الصبر كل مساء، لتحيته وعودته بالسلامة على طريقته الخاصة، حيث يربض عند شعوره بخطوات الرئيس تقترب من المدخل الرئيسي للمنزل لتحيته بانبطاحه على الأرض باسطا ذراعيه أمامه، وهي إماءة خاصة تعبّر بصدق عن تحيته الخاصة الصادقة للقائد.

كان الرئيس يسأل الخادم . حسين بن خبّو عن حال عنتر وزميله ما إذا كان يقدم لهما الوجبات الغذائية بانتظام ؟ وهل عنتر في صحة جيدة ؟ فيجيب الخادم نعم، ثم ينصرف الرئيس إلى إحدى الغرف لنزع ثياب العمل إن كانت له نية عدم استئنافه بعد ولأخذ قسط من الراحة نتيجة المجهودات المبذولة طوال اليوم، أمام دراسة كبريات الملفات المتراكمة على مكتبه، والتي ينبغي إيجاد الحلول المناسبة لها، إنها ملفات معقّدة تشمل

مختلف مناحي الحياة لشعب أنهكته سنوات عجاف، في ظل الحكم الاستعماري القاتل.

عاد القائد في إحدى الأمسيات من العمل، وبعد عبوره الباب الخارجي للمنزل، لاحظ أن عنتر لم يستقبله مثلما جرت العادة لكنه لاحظ أن عنتر نائم في ساحة المنزل فأراد تفقده، لأنه يبدو في وضعية غير طبيعية، خامر الرئيس شك بأنّ في الأمر شيء ما حدث لعنتر، لكن المفاجأة كانت جد صعبة على الرئيس فأثرت فيه وآلمته لقد مات عنتر، فنادى الخادم . حسين بن خبّو . وطلب منه حمل جثمان عنتر إلى البيطري، حيث قام بتشريحه فتبين له بعد الفحص الدقيق أن سبب الوفاة (سمّ) تناوله عنتر، عاد الخادم من لدن البيطري وهو يحمل التقرير الطبي حيث سلمه إلى الرئيس في حينه وبعد تفحص الرئيس لما ورد في التقرير الطبي تبين له أن سبب الوفاة كانت نتيجة سمّ تناوله عنتر.

أصاب الرئيس وجوم جعله يتألم لوفاة عنتر الوفيّ له طيلة وجوده في رعاية الرئيس، نادى الرئيس أخته يمينة وقال لها: **«يمينة إنّ عنتر مات وكشف التقرير الطبي أنه تناول سما فأرداها قتيلا ومن وضع السم لعنتر سيضعه لي أنا لاحقا يا يمينة!»**.

هذا هو حدس وشعور الرئيس بعد اكتشافه سبب وفاة عنتر يومها، أيها القارئ الكريم المحب لقائده الذي عمل بكل إخلاص من أجل ازدهار الجمهورية فوضع اللبنات الأولى لبناء مؤسساتها الدستورية لصالح الوطن والمواطن، لك أن تتدبر مقولة الرئيس لأخته يمينة علّك تعثر على مضمون الرسالة المشفرة!.

ثانيها:

عاد الرئيس الراحل من يوغوسلافيا حيث قضى بها أسبوعا هناك قصد الراحة والاستجمام إلى أرض الوطن، وهو يتمتع بصحة جيدة، وبعد بضعة أسابيع من عودته، شعر بتوعك صحته بطريقة مفاجئة جدا، لقد كان الرئيس يرغب في حضور الاجتماع المزمع انعقاده بدمشق، لكن أحد أفراد عائلته المقربين منه، المحافظ على صحته وبالتالي حياته، نصحه بعدم السفر لأن صحته لا تسمح له بذلك، لكن الرئيس أصرّ على حضور هذا الاجتماع، باعتبار حضور الجزائر ضروريا جدا، نتيجة ثقلها الدولي ووزنها السياسي قوميا عربيا لكن المرض لا يزال يضايقه باستمرار، بعد عودته من جولة الشرق الأوسط، وهو يعاني من المرض الذي أنهك قواه، إذن تبعا لما سبق أن الرئيس عندما سافر إلى دمشق كان مريضا، مما يدل على أن المعلومات التي كانت تروّج هنا وهناك بأن الرئيس أصيب بنوع من المرض وهو عائد من دمشق إلى السودان، إنّ هذه المعلومات المروّجة حول مرضه، كانت مفبركة في رأي الشخصي، زادت معاناة الرئيس بسبب تدهور صحته إلى درجة الخطورة، ولم تعرف أسباب المرض ولا نوعيته لحد الساعة بطريقة تبعد أي تفسير آخر في الموضوع قد يؤدي بنا إلى متاهات الشك البعيد.

بعد ملاحظة تدهور صحة الرئيس من السيئ إلى الأسوأ تقرر علاج الرئيس خارج الوطن، فصيغت يومها مجموعة من الاقتراحات، من بينها الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا وبعض الدول الأوروبية الأخرى، لكن الرئيس فضّل العلاج بالاتحاد السوفييتي لمجموعة من الاعتبارات، أعرب عنها آنذاك لأحد أفراد عائلته المقرب منه جدا، ورفض المقترحات السابقة، معلّلا رفضه العلاج في تلك البلدان لأسباب كان يراها موضوعية جدا.

إذن استقر الرأي على سفر الرئيس إلى الاتحاد السوفييتي حيث مكث هناك عدة أيام، ثم عاد إلى أرض الوطن وحالته الصحية متدهورة جدا لقد أنهكه المرض حتى أصبح لا يزن أكثر من 35 كيلوغراما كما ذكر لي أحد المقربين منه جدا.

أثناء إقامته بالاتحاد السوفييتي قصد العلاج، سأل أحد أقربائه المقربين منه نائب وزير الصحة الروسي الذي يعود الرئيس بين الفينة والأخرى عن نوع مرض الرئيس، فما كان من نائب الوزير إلاّ أن قال تحت الإلحاح كلاما بحروف حزينة معبّرا عن تأسفه وعدم رضاه لما آلت إليه صحة الرئيس: (لقد نجح أولئك الذين أرادوا إبعاده أيها السائل المحترم) دون أن يواصل الحديث مودّعا ضيفه وهو يردد: (إلى اللقاء...إلى اللقاء...أيها السائل المحترم أرجو لك إقامة طيبة ومريحة بالاتحاد السوفييتي)، ثم انصرف مسرعا خارج إقامة الرئيس، حيث ترك السائل مشدوها في حالة ذهول، يفّكر في فهم عبارة نائب وزير الصحة التي نزلت عليه كالصاعقة المدمرة، ولم يفهم مقصوده إلاّ بعد أن استعاد قواه نتيجة الصدمة التي حلت به فجأة.

هذه إشارة جدّ ذكية من قبل نائب وزير الصحة الروسي عندما كان الرئيس الراحل يخضع للعلاج هناك، وهي في نفس الوقت، رسالة مشفرة.

إن هناك غموض وتعتيم قد يكون مقصودا بخصوص نوع المرض الذي أصاب القائد الراحل، إنه لحد الساعة لا تزال الملايين من أبناء شعب القائد الشهيد، تشكّك في احتمال صحة تلك الأسباب الوهمية الغامضة التي كانت تروّج يومها على أنها كانت الضربة القاضية التي أفضت في النهاية إلى استشهاد القائد هواري بومدين.

ثالثها:

لقد دوّن الأستاذ محمد سعدي المحامي قائد الجبهة الوطنية البومدينية في أوائل التسعينات في مذكرته شهادة العميد طلاس وزير الدفاع السوري بواسطة الصحفي الأخ خالد عمر بن ققة عندما أتيحت له فرصة لقاء السيد العميد طلاس حيث أجرى معه حوارا مطولا تضمّن نقاطا حساسة جدا صرح بها السيد الوزير أثناء الحوار بمدينة دمشق حول ظروف وفاة الرئيس الراحل هواري بومدين، إنّي سأسوق للقارئ بعض الفقرات من هذه المذكرة التي دوّنها الأستاذ محمد سعدي وهي من الخطورة بمكان، أرجو أن يتسع صدر القارئ لما تضمنته هذه الفقرات من مفاجآت لم تكن لتخطر ببال أحد، هي شهادة من طرف شخصية عسكرية فاعلة في دمشق، كانت كما ذكر الأستاذ من الأصدقاء الحميمين للرئيس الراحل هواري بومدين.

إن استشهاد الرئيس الراحل هواري بومدين يعد حقا حادثا ذا دلالة ينبغي التوقف عنده لتحليل وإجلاء مختلف القرائن التي قد تؤدي بنا في النهاية إلى كشف الحقيقة التي بقيت غامضة ومجهولة والتي أدت إلى استشهاد القائد رغم مرور قرابة 26 سنة على استشهاده، إنّ التاريخ سيكشف حقيقة ما حدث ذات يوم لامحالة.

يدوّن الأستاذ محمد سعدي في مذكرته: (إلى أن كانت المفاجأة الكبرى حيث استطاع الأخ عمر بن ققة، وعن طريق الصدفة أن يجري حواراً مطولاً مع العماد طلاس وزير الدفاع السوري نشر في جريدة الشروق الأسبوعية وقد صرّح العماد طلاس أنه يملك أدّلة مادية بأنّ صدام حسين الرئيس الأسبق للعراق هو الذي وضع السّم لبومدين بإيعاز وتحريض خارجي...الخ.

وعند اتصالي بالأخ عمر خالد بن ققة (باعتباره إطارا في الحزب الذي أقوده آنذاك أكّد لي المعلومة فطلبت منه الحصول على تسجيل صوتي من العماد طلاس وهو ما حصل لاحقا في لقاء بدمشق بين الأخ خالد بن ققة والعماد طلاس في بيت هذا الأخير) ثم يواصل الأستاذ الحديث في الموضوع من مذكرته قائلا: (ولكن بقيت قضية موت بومدين تؤرقني واعتبرت نفسي متسترا على جريمة، ولكن ظروف الشعب العراقي الشقيق وما مرّ به من محن جعلتني أتهرب من مسؤولية تتبع الموضوع بالجدية اللازمة حتى لا يقال أنني عميل لجهة معينة).

ويواصل الأستاذ حديثه المثير قائلا: (وأدعو كل الجزائريين وعلى رأسهم جميعا فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة وأسرة الرئيس الراحل هواري بومدين بمساعدتي بكل الوسائل المتاحة لمعرفة دور صدام حسين في موت المرحوم بومدين بالاعتماد على شهادة الشاهد العميد طلاس وزير الدفاع السوري وتقديم شكوى رسمية ضد صدام حسين أمام السلطات القضائية العراقية المختصة بتهمة قتل الرئيس بومدين بواسطة السّم حسب رواية الشاهد العماد طلاس وزير الدفاع السوري الذي مازال حيا ويشغل نفس المنصب ولا أظنه يبخل بشهادته وهو المعروف بصداقته الحميمة للرئيس الراحل هواري بومدين).

يواصل الأستاذ حديثه في عبارات ملفوفة بالحزن والألم: (هذه صرخة مكلوم، لا أريد من ورائها، إلاّ كشف الحقيقة خاصة ونحن على أبواب ذكرى وفاة الرئيس الراحل هواري بومدين رحمه الله متمنيا من الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية تبني هذا النداء أثناء احتفالهم بذكرى وفاة الرئيس الراحل والذي سينعقد مع نهاية هذه السنة 2004 كالعادة إن شاء اللّه.

إنه لا يسعني أمام هذا التصريح الخطير الموثّق إلاّ أن أطلب من القارئ الكريم التبّصر فيما يراه، ويحلّل بعمق هذه الرسائل المشفرة بخصوص استشهاد القائد هواري بومدين، وإني أضّم صوتي إلى أصوات الملايين من أبناء شعب القائد إلى التحقيق المعمّق في الظروف التي استشهد أثناءها القائد...إنّ التعتيم لا يزال مضروبا بقوة حول هذا الحدث التاريخي الذي سوف تنكشف حقيقته آجلا أم عاجلا...لقد مات بومدين، ولكن بصماته لا تزال حية ناطقة، فقد أرسى قواعد مؤسسات الجمهورية بعناية فائقة، وأرسى القواعد الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، فالطب مجاني والتعليم إجباري ومجاني...ونحن اليوم نعيش على ما بقي منها قائما شاهدا على إخلاص القائد لوطنه ومواطنيه، إنّ الأجيال الصاعدة تلهث وراء معرفة الظروف المأساوية الغامضة التي استشهد خلالها القائد.

أني أسجّل ما ذكره فخامة رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة عند صياغته مقدمة مطبوع (من وحي الألم) بمناسبة إحياء الذكرى الحادية والعشرين لوفاة الرئيس الراحل في الصفحة 25/24 من المطبوعة إذ يقول: (لم يكن هناك مديح ظاهر فحياة الرئيس الراحل هواري بومدين، بل كان هناك أكثر من المديح إن صحّ التعبير، وأعني به العمل الدؤوب، هذه مدرسة تفتح، وتلك كهرباء تصل إلى أعالي الجبال وأقاصي الأرياف فتبعث الدفء في نفوس من ذاقوا مثل من سبقهم الفقر أحقابا طوالا. هذا مستوصف وتلك جامعة وهذه طريق يشقها رجال الخدمة الوطنية في الأوعار وفي القفار، وهذه عزّة تعود إلى موقعها الصحيح في وجدان أبناء الجزائر، لا سيما منهم الشباب الطامحين لا قنع والخير فيهم كل الخير بورك في أعمالهم بما حملوه من مشعل الحماس والتفاؤل والأمل للمجتمع

كله، وذلك موقف سياسي تحدو بذكره الركبان بين مغارب الأرض ومشارقها ويتناقله المعذبون والمضطهدون هنا وهناك، في أصقاع الدنيا، فيعيد إليهم الروح، ويملأ جوانحهم بالأمل الغرير والعزيمة الوثابة).

هذه شهادة حية عن بعض إنجازات القائد الراحل، شهادة أحد أولئك الذين عملوا مع الرئيس رفقاء المرحلة البومدينية آنذاك.

وإني في نهاية هذه العجالة، لا يسعني إلاّ أن أترك لك أيها القارئ الكريم استنتاج ما تراه صوابا عند قراءتك الممعنة لعبارة الرئيس الراحل هواري بومدين لأخته يمينة بعد وفاة عنتر وكذا عبارة نائب وزير الصحة الروسي عندما سئل يومها من قبل أحد المقربين من الراحل، وهو يتطلع إلى معرفة حقيقة مرض الرئيس، حيث أن ذلك يعنيه دون سواه في الوقت الذي كان نائب الوزير يعود فيه ضيفه المريض في إقامته، وفي ردّه على السائل الكريم يومئذ عن صحة القائد الشهيد هواري بومدين وكذا ما ورد في مذكرة الأستاذ محمد سعدي المدونة بعض فقراته أعلاه.

هذه رسائل مشفرة جديرة بالتحليل المعمّق لمعرفة ما وراءها بدقة وبطريقة علمية بحتة بغية الوصول إلى الحقيقة المتوخاة من ذلك كله، ويعتبر ما جاء في مذكرة الأستاذ محمد سعدي من الأهمية بمكان وبالتالي ارتأيت نقل ما جاء على لسان الأستاذ سعدي حرفيا في نهاية هذه العجالة.

إني أعتمد على ذكاء القارئ الكريم في أن يصل في النهاية إلى حوصلة ما ذكر وإصدار رأي يحتكم فيه إلى الموضوعية العلمية التي قد تفضي في نهاية المطاف إلى حقيقة تاريخية يمكن الاستئناس بها عند الحكم النهائي في القضية المطروحة.

الكلمة التأبينية للسيد عبد العزيز بوتفليقة

وزير الشؤون الخارجية يوم وفاة الرئيس الراحل هواري بومدين

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها القائد العملاق،

تواضع الإخوة والرفاق وتواضع الأصحاب والخلان وأثروني على أنفسهم لأقول كلمة الإمتنان بإسم الجميع وبإسم شعبك العظيم، فأين أجد الكلمات يا بومدين، ومع ذلك فإنني أقرؤها في تماسك شعبنا ووحدته وأقرؤها في عيون الكادحين الذين جعلت منهم عمالا منتجين إنني أراها في عيون الفلاحين الذين أخرجتهم من الأكواخ وأسكنتهم ديار الكرامة، إنني أقرؤها في طموح الشباب الذي فتحت له طريق الشموخ وطريق العزة إنني أراها في هيبة جيشنا الوطني الشعبي الذي حملته لواء جيش التحرير يا قائد جيش التحرير.

... إنني أراها في شوارع مدننا المضطربة بمشاعر المحبة والعرفان، إنني أراها يا بومدين في وجه الأشقاء والأصدقاء، الذين جاءوا من كل حدب وصوب ليكونوا شهداء عليك يعز عليهم فراق واحد من المجاهدين والشهداء نقف أمام روحك الطاهرة التي عاشت بين ساحات الوغى مقاتلة جحافل العدوان والشر وقائدا لكتائب النصر والإيمان وبين ساحات البناء موطدا أركان الدولة وقائدا عن حمى الأمة، وجامعا للكلمة، معبئا للطاقات ومتفانيا في تحقيق العدل والمساواة فكيف نستطيع أن ننساك وأنت دائما حاضرفي القلوب، لقد برزت من صفوف هذا الشعب العظيم من بين فلاحيه الفقراء الذين اعتصموا بالجبال وقاوموا جحافل الطغاة عبر العصور فكانوا قلعة المقاومة وحصن الشخصية الوطنية وينبوع ثورة فاتح نوفمبر الخالدة.

هذا ما جعلك تغار على مقومات حضارتنا العربية الإسلامية ولا تدخر جهدا في الدفاع عن السيادة الوطنية ووحدة الأمة لأنك كنت مدعما وحدتنا في كل الظروف وكنت قائد نضالنا ونضالاتنا التي أرهبت الأعداء وأسرت الأصدقاء، نحن نبكي فيك إسرارك على المبادئ ووفائك للمثل التي سطرها شهدائنا الأبرار بدمائهم الزكية وتكبر فيك تفانيك إلى آخر رمق لبعث دولة قوية لا تزول بزوال الرجال إن شعبنا الذي أنجبك يا بومدين لفخور بك وأنت بين ضهرانيه تسهر على الأمانة.

وإننا لنعاهدك على أننا سنظل على نهجك سائرين ولخطاك متبعين وعلى الأمانة ساهرين ويا أيتها الجماهير الباكية بدموع الرحمة والوفاء تعز بالصبر الجميل، وداعا يا من علمتنا كيف يموت الإنسان العظيم في صمت ووفاء وكيف يحترق إلى النهاية ليبدد الظلام نم الآن مستريحا فالجماهير بعدك معبأة ومجندة.

فإن مسيرة الثوار ستواصل زحفها تحت راية البناء والتشييد لتحقيق ما كنت تصبوا إليه.

إنك يا بومدين من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

وداعا أيها الأخ، أيها الرفيق، أيها الحبيب، أيها الصديق ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إنا لله وإنا إليه راجعون

السيد عبد العزيز بوتفليقة

جزائر بومدين، هل من حقها مساءلة صدّام؟



لقد كنت من بين القلة القليلة التي انخدعت بشعارات جوفاء كان يرفعها صدّام بمناسبة غزوه للكويت وجاهرت وقتها بأحقية العراقيين في الكويت لاعتبارات تاريخية بحتة وقد أكون على صواب أو على خطأ وذلك موضوع آخر يطول النقاش فيه خاصة إذا ما قسنا موقف الدول العربية من قضية الكويت مقارنة بموقفهم من الصحراء الغربية، المهم أنني كنت متحمسا لمواقف صدام، ولبيت دعوة عراقية جاءتني عن طريق السفارة العراقية بالجزائر آنذاك، لم أكن الجزائري الوحيد، بل هناك المئات ممن كانوا مدعويين وكأحزاب والجمعيات، الشخصيات وقد لبّ الجميع الدعوة.

وأثناء تواجدي بالقطر الأردني تفضل سفير الأردن باستقبالي في مكتبه من أجل التأشيرة وبالمناسبة قال لي بالحرف الواحد ستندم عن زيارتك للعراق بعد أن عرف أنني أترأس الجبهة الوطنية البومدينية... واعتبرت وقتها موقف معالي السفير عمالة للعرب خيانة للقضية العربية، ولكن تقبّلت الملاحظة بكل مرارة ولم أقل أي شيء خوفا من عدم منحي التأشيرة اللازمة إلى العراق عبر الأردن ووصلت إلى بغداد في الوقت المعين فوجدت أغلب الأحزاب العربية وكذا الجمعيات والشخصيات متواجدة ببغداد في مؤتمر عام لمساندة الشعب العراقي ضد (قوى التحالف) آنذاك وعند بداية أشغال المؤتمر لاحظت غياب صدام عند أشغال المؤتمر وتواجد طه يسين رمضان كممثل لصدام صاحب الكلمة الأولى الأخيرة في المؤتمر، وأثناء تدخل رؤساء الوفود لمست نوعا من محاولة إقصائي

وتهميشي فاستغربت لذلك ولكن في اليوم الثالث تأكدت من أن هناك موقفا خاصا مني وعندها التجأت للسيدة بن حبيلس وطلبت منها مساعدتي للوصول إلى المنصة لمعرفتي المسبقة بعلاقاتها المتينة من الأمينة العامة لإتحاد النساء العراقيات هذه الأخيرة التي كانت لها كلمتها داخل القيادة العراقية وبفضل ذلك تمكنت من الوصول إلى المنصة لإلقاء مداخلتي وقد كانت محضرة كتابة، وعندما جاء دوري لإلقاء كلمتي تفاجأت بموقف غريب ذلك أن طه ياسين رمضان ما إن سمع اسمي حتى غادر القاعدة وعندها تأكدت من سوء نية القيادة العراقية تجاهي لا لشيء إلاّ لكوني أذكرهم بالرئيس الراحل هواري بومدين.

وبعد أن تأكدت من ذلك قرّرت أن ألقي كلمة ارتجالية والاستغناء عن الكلمة المكتوبة التي كنت قد حضرتها سابقا وأثناء تدخلي تجنبت ذكر اسم صدام حسين ومن بين ما قلت بالحرف الواحد " ... أيها الإخوة لقد جئتكم مكة الثورة والثوار باحثا عن يثرب الجهاد والمجاهدين وهذا لدعم الشعب العراقي الشقيق في محنته تماشيا مع وحيه الترتيب الجزائري الراحل هواري بومدين رحمه الله والذي أكدّ على أنّ للشعب العراقي دين تاريخي في عنق الشعب الجزائري يستوجب الردّ في الوقت المناسب...وما وجودنا اليوم ببغداد العرب والعروبة إلاّ تنفيذا لوصية المرحوم بومدين وكل الخيرين في الجزائر...!".

وقد كانت كلمتي قصيرة جدّا ولكن هادفة، ووقتها لامني المرحوم بن حمودة ومن بين ما قال لي رحمه اللّه : "إنك لست في قسنطينة يا سي محمد"، وعندما رويت له روايتي أثناء تناول العشاء تعجب وطلب مني الحذر وعدم الاندفاع والتريث إلى حين مغادرة العراق ...إلخ.

وعندما جنّ الليل وعدت إلى غرفتي بالفندق تفاجأت بشاب عراقي في الأربعينات يعمل صحافي في جريدة (الثورة العراقية) يزورني وهو مضطرب وقدم لي نفسه كصحافي ثم طلب مني مصاحبته خارج الغرفة لدقائق لأمر خاص، ففعلت وأثناء سيرنا في رواق الفندق إقترب مني وقال لي هامسا " إنني أحب بومدين حبّا جمّا ولكن هناك في العراق من يكن له عداوة كبيرة وكرها شديدا، وأنت الآن تمثله فاحذر ولا تغادر الفندق إطلاقا حتى الأكل حاول أن تأكل من الأطباق التي يأكل منها رجال الأمن العراقيين المتواجدين في المؤتمر، ثم قال لي تصبح على خير واختفى ومنذ يومها لم أَرَهُ إلى أن غادرت بغداد، وقد عملت بنصيحته وأصبحت لا أشارك في أشغال المؤتمر إلاّ بعض الوقت وغالبية الوقت أظل بغرفتي في الفندق، وقد كلفت الإخوة أعضاء وفدي بمتابعة مجريات أشغال المؤتمر بدلا عني وهو ما حدث وحتى أثناء انتقال الوفود إلى مكان ما لملاقاة صدّام اعتذرت وكلفت أحد أفراد وفدي بالانتقال بدلا عني وهو المجاهد مناعي عبد القدوس ومعه الصحفي مرزوق عبد الرحيم.

المهم انتهت الزيارة وعدت سالما إلى الجزائر وأصدرت بيان تنديد واستنكار جعلت من السفير العراقي بالجزائر آنذاك يصدر بيان اعتذار واتصل بي هاتفيا طالبا مني عدم تهويل الأمر ووعد إياي بتنظيم زيارة خاصة بي للعراق لاحقا فشكرته وبالمقابل طلبت منه قطع غلاقتي به وبكل ما يأتني من السلطة العراقية، هو ما حدث فعلا حيث حاول عدة مرات دعوتي، لكن رفضت كل الدعوات إلى أن كانت المفاجأة الكبرى حيث استطاع الأخ خالد عمر بن قاقة وعن طريق الصدفة أن يجري حوارا مطولا مع العماد طلاس وزير الدفاع السوري ونشره في جريدة الشروق

الأسبوعية وقد صرّح العماد طلاس أنه يملك أدلة مادية على أن صدّام هو الذي وضع السم لبومدين بإيعاز وتحريض خارجي ...إلخ.

وعند اتصالي بالأخ خالد عمر بن قاقة باعتباري إطارا في الحزب الذي أقوده آنذاك أكدّ لي المعلومة فطلبت منه الحصول على تسجيل صوتي من العماد طلاس وهو ما حصل لاحقا في لقاء بدمشق بين الأخ خالد عمر بن قاقة والعماد طلاس في بيت هذا الأخير.

المهم من كل ما سبق أنني عرفت سببا مضايقتي أثناء تواجدي ببغداد وحمدت اللّه على عودتي للجزائر سالما ذلك أن الأعمار بيد اللّه أولا وأخيرا.

ولكن بقيت قضية موت بومدين تؤرقني واعتبرت نفسي متسترا على جريمة، ولكن ظروف الشعب العراقي الشقيق وما مرّ به من محن جعلتني أتهرب من مسؤولية تتبع الموضوع بالجدية اللازمة حتى لا يقال أنني عميل لجهة معينة.

وهو الاتهام الذي وجهه السفير العراقي بالجزائر للأخ خالد عمر بن قاقة وقتها وطلبت أنا من الأخ خالد عدم الرد عليه لاعتبارات كثيرة، ولكن سقوط صدّام بالطريقة التي شاهدها العالم بأسره نكأ جرحا كان قدما مضجعا وأسقطت كل الأقنعة، واتضحت الرؤيا، وتأكدت من أنني مخدوع مثل ملايين العرب المخدوعين في شخصية صدّام، وبالتالي فإنه بات لزاما مراجعة المواقف تماشيا مع الأحداث، ومن جهتي فإنني أعتذر وبكل جرأة جزائرية للإخوة الكويتيين شعبا وقيادة عما صدر مني سابقا نحوهم وأعتذر ثانيا للشعب العراقي الشقيق عند وقوفي إلى جانب صدّام حسين أثناء تواجده على رأس الدولة العراقية الكارتونية وبالمقابل أثمن موقف السفير الأردني السابق بالجزائر (ع) وأشكر الأخ العراقي الذي

حذرني من القيادة العراقية أثناء تواجدي ببغداد، وأدعو كل الجزائريين وعلى رأسهم جميعا فخامة رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة وأسرة الرئيس الراحل هواري بومدين لمساعدتي بكل الوسائل المتاحة لمعرفة دور صدّام حسين في موت المرحوم بومدين بالاعتماد على شهادة الشاهد العماد طلاس وزير الدفاع السوري وتقديم شكوى رسمية ضد صدّام حسين أمام السلطات القضائية العراقية المختصة بتهمة قتل الرئيس بومدين بواسطة السمّ حسب رؤية الشاهد العماد طلاس وزير الدفاع السوري الذي ما زال حيا ويشغل نفس المنصب ولا أظنه يبخل بشهادته وهو المعروف بصداقته الحميمية للرئيس الراحل هواري بومدين وكل الشعب الجزائري في أيام الثورة التحريرية.

هذه صرخة مكلوم، لا أريد من ورائها إلاّ كشف الحقيقة خاصة ونحن على أبواب ذكرى وفاة الرئيس الراحل هواري بومدين رحمه اللّه متمنيا من الإتحاد الوطني للشعبية الجزائرية تبني هذا النداء أثناء احتفالهم بذكرى وفاة الرئيس الراحل والتي ستنعقد هذه السنة بالجزائر العاصمة.

الأستاذ: محمد سعدي

محام ومؤسس للجبهة الوطنية البومدينية

الفهرس



لماذا تقرأ هذا الكتاب

هذا الكتاب يحتوي على محطات تاريخية هامة تخص الرئيس الراحل هواري بومدين رحمه الله ظلت إلى عهد قريب مجهولة أو متجاهلة لأسباب كثيرة أهمها التي كانت منصبة حول حياته كرئيس للدولة الجزائرية أما حياته الشخصية خاصة أيام الطفولة والدراسة لم يتطرق لها أي أحد من قبل بسبب عدم وجود المراجع الموثقة.

هذا الكتاب ينفرد بكشف الغبار عن الطفل محمد بوخروبة بن ابراهيم منذ أيام تتلمذه بقالمة ثم مدرسة الكتانية بقسنطينة ثم الرحلة وعذابها من قسنطينة الى القاهرة مرورا بكل من تونس ثم ليبيا. معاناة الرحلة باعتبارها مغامرة في سبيل العلم وال... تواجد هواري بومدين بالقاهرة والتحاقه بالجامع الأزهر و... بالتيارات الثورية خاصة التيار الناصري وكيفية التحا... التحريرية خلال سنة 1955.

وفي نهاية الكتاب هناك فصل خاص باغتيال الرئيس ال... هواري بومدين رحمه الله فالكتاب يعتبر وثيقة تاريخية ... تستحق كل الإعجاب والتقدير.

ردمك: 9961-60-647-7